

الاستعارة

جون سيرل

ترجمة: طارق النعمان

صياغة المشكل

لو أنك تسمع شخصاً يقول «سالي لوح ثلج» أو «سام خنزير»، فإنك غالباً ستفترض أن المتكلم لا يعني ما يقول حرفياً بل إنه يتحدث استعارياً. وعلاوة على ذلك فمن غير الوارد أن تواجه صعوبة شديدة جداً في اكتشاف ما يعنيه.

ولو أنه يقول «سالي عدد أساس a prime number بين ١٧ و ٢٣» أو «بل باب حظيرة a barn door» فقد تظل تفترض أنه يتكلم استعارياً، إلا أنه سيكون أصعب كثيراً أن تتبين ما يعنيه. إن وجود تلفظات من هذا النوع – تلفظات يعني فيها المتكلم استعارياً شيئاً مختلفاً عما تعنيه الجملة حرفياً – يثير سلسلة من الأسئلة بالنسبة لأية نظرية للغة والتواصل: ما الاستعارة، وكيف تختلف عن كل من الأشكال الأخرى من التلفظات الحرفية والمجازية؟ لماذا نستخدم تعبيرات استخداماً استعارياً بدلاً من قول ما نعنيه بالضبط وحرفياً؟ كيف تعمل التلفظات الاستعارية، أي كيف يكون ممكناً للمتكلمين أن يتواصلوا مع السامعين حين يتحدثون بشكل استعاري ماداموا لا يقولون ما يعنونه؟ ولماذا تعمل بعض الاستعارات بينما لا تعمل استعارات أخرى؟

إنني أعترف أن أتناول، في نقاشي، هذه المجموعة الأخيرة من الأسئلة – تلك الدائرة حول مشكل كيف تعمل الاستعارات – بسبب أهميتها الجوهرية، ولأنه لا يبدو لي أننا سنحصل على جواب للأسئلة الأخرى ما لم يجب على هذا السؤال الأساسي.

وقبل أن يمكننا أن نفهم السؤال فإننا نحتاج، مع ذلك، إلى أن نصوغه صياغة أدق. إن مشكل تفسير كيف تعمل الاستعارات هو حالة خاصة من المشكل العام لتفسير كيف ينفصل معنى المتكلم ومعنى الجملة أو الكلمة. إنه حالة خاصة، فيما أقصد، من مشكل كيف يكون ممكناً أن يقال شيء ويقصد شيء آخر، حيث ينجح المرء في توصيل ما يعنيه على الرغم من أن كلاً من المتكلم والمستمع يعرف أن معاني الكلمات التي تلفظها

المتكلم لا تعبر تعبيراً مضبوطاً وحرفياً عما يعنيه المتكلم. كما تتمثل بعض الأمثلة الأخرى للانفصال بين معنى تلفظ المتكلم speaker's utterance meaning ومعنى الجملة الحرفي literal sentence meaning في المفارقة وأفعال الكلام غير المباشرة indirect speech acts إذ في كل حالة من هذه الحالات لا يكون ما يعنيه المتكلم متطابقاً identical مع ما تعنيه الجملة، ومع ذلك فما يعنيه معتمد بطرائق عديدة على ما تعنيه الجملة. ومن الأساسي التشديد منذ البداية على أن مشكل الاستعارة يخص العلاقات بين معنى الكلمة ومعنى الجملة من ناحية، ومعنى المتكلم speaker's meaning أو معنى التلفظ utterance meaning من ناحية أخرى. ويحاول كُتاب عديدون حول الموضوع أن يُعيّنوا العنصر الاستعاري the metaphorical element لتلفظ استعاري a metaphorical utterance في الجملة أو التعبيرات الملفوظة. وهم يتصورون أن ثمة نوعين من المعنى للجملة، أحدهما حرفي و الآخر استعاري. ومع ذلك فالجمل والكلمات لها فقط المعاني التي لها. وإذا تكلمنا بدقة، فإننا حينما نتحدث عن المعنى الاستعاري لكلمة أو تعبير أو جملة فإننا نتحدث عما قد يتلفظه متكلم ليعنى، بطريقة تنفصل عما تعنيه الكلمة أو التعبير أو الجملة فعلياً. ولذا فإننا نتحدث عن مقاصد ممكنة للمتكلم possible speaker's intentions، فحتى حين نناقش كيف يمكن لجملة بلا معنى a nonsense sentence مثل مثال شومسكي «أفكار خضراء بلا لون تنام مستعرة بالغضب» «colorless green ideas sleep furiously» أن تُمنح تأويلاً استعارياً metaphorical interpretation فإن ما نتحدث عنه هو كيف يسع المتكلم أن يتلفظ الجملة ويعني بها استعارياً شيئاً ما على الرغم من أنها حرفياً بلا معنى literally nonsensical. ولكي أجد طريقاً مختصراً لتمييز ما يعنيه المتكلم بتلفظ كلمات وجمل وتعبيرات من جهة أولى وما تعنيه الكلمات والجمل والتعبيرات من جهة أخرى، فإنني سأدعو الأول معنى تلفظ المتكلم والثاني معنى الكلمة أو الجملة. إن المعنى الاستعاري metaphorical meaning هو دائماً معنى تلفظ المتكلم.

فمن أجل أن يستطيع المتكلم أن يتواصل مستخدماً تلفظات استعارية وتلفظات مفارقة ironical utterances وأفعال كلام غير مباشرة indirect speech acts يجب أن تكون هناك بعض المبادئ التي وفقاً لها يكون قادراً على أن يعني أكثر مما يقوله أو شيئاً مختلفاً عما يقوله، مبادئ يستطيع المستمع بواسطتها مستخدماً معرفته بها أن يفهم ما يعنيه المتكلم. إن العلاقة بين معنى الجملة ومعنى التلفظ الاستعاري علاقة منتظمة

systematic وليست عشوائية random أو خاصة ad hoc. ومهمتنا في بناء نظرية للاستعارة هي أن نحاول أن نُعيّن هذه المبادئ التي تربط معنى الجملة الحرفي بمعنى التلفظ الاستعاري. ولأن المعرفة التي تُمكن البشر أن يستخدموا ويفهموا التلفظات الاستعارية تتجاوز معرفتهم بالمعاني الحرفية للكلمات والجمل، فإن المبادئ التي ننشدها ليست متضمنة أو على الأقل ليست متضمنة بشكل كامل داخل نظرية عن الكفاءة اللغوية كما يُتصور تقليدياً. ومن وجهة نظر المستمع، فإن مشكل نظرية الاستعارة هو تفسير كيف يستطيع هو أن يفهم معنى تلفظ المتكلم في ظل أن كل ما يسمعه هو جملة لها معناها بما هي كلمات وجملة. أمّا من وجهة نظر المتكلم فإن المشكل هو تفسير كيف يستطيع أن يعني شيئاً مختلفاً عن معنى الكلمات والجملة الخاص بالجملة التي يتلفظها. في ضوء هذه التأمّلات، يمكن لسؤالنا الأصلي، كيف تعمل الاستعارات؟ أن يعاد صياغته على النحو التالي: ما المبادئ التي تُمكن المتكلمين من أن يصوغوا والمستمعين من أن يفهموا تلفظات استعارية؟ وكيف يمكن لنا أن نُعيّن هذه المبادئ بطريقة تُوضّح كيف تختلف التلفظات الاستعارية عن أنواع أخرى من التلفظات التي لا يتطابق فيها معنى المتكلم مع المعنى الحرفي؟ ولأن جزءاً من مهمتنا هو أن نفرس كيف تختلف التلفظات الاستعارية عن التلفظات الحرفية، فلا بد لنا بداية من أن نصل إلى تشخيص للتلفظات الحرفية. إن معظم – بل في الواقع كل – المؤلفين الذين قرأت لهم حول موضوع الاستعارة يفترضون أننا نعرف كيف تعمل التلفظات الحرفية، ولا يظنون أن مشكل التلفظات الحرفية يستحق المناقشة في طرحهم للاستعارة والتمن الذي يغرمونه مقابل هذا هو أن طروحاتهم غالباً ما تصف التلفظات الاستعارية بطرق تخفق في أن تميزها عن التلفظات الحرفية.

وفي الواقع فإن إعطاء بيان دقيق للحمل الحرفي في an accurate account of literal predication لهو مشكل صعب ومعقد ودقيق الى أقصى حد. ولذا فإنني لن أحاول أي شيء من قبيل الحصر الشامل لمبادئ التلفظ الحرفي وإنما سأعلق فقط على تلك السمات التي تعد أساسية لمقارنة التلفظ الحرفي مع التلفظ الاستعاري، و أيضاً، ولمقتضى البساطة، فإنني سوف أقصر معظم نقاشي لكل من التلفظ الحرفي والاستعاري على حالات بسيطة جداً ولجمل مستخدمة من أجل فعل الكلام الخاص بالتقرير the speech act of assertion. تخيل أن متكلماً ينتج تلفظاً حرفياً لجملة مثل:

)١

(١) سالي طويلة. (١) Sally is tall.

(٢) القطة على البساط. (٢) The cat is on the mat.

(٣) الحرارة آخذة في الارتفاع هنا. (٣) It's getting hot in here.

ولنلاحظ الآن أن في كل من هذه الحالات يُحدّد المعنى الحرفي للجملة على الأقل جزئياً، مجموعة من شروط الصدق a set of truth conditions ولأن قوة فعل الكلام الوحيدة the only illocutionary force تشير إلى الوسائل التقريرية assertive في الجمل (أنظر: Searle, ١٩٦٩)، فإن التلفظ الحرفي والجاد the literal and serious utterance لإحدى هذه الجمل سيلزم المتكلم بوجود مجموعة من شروط الصدق المحددة بمعنى تلك الجملة جنباً إلى جنب مع المحدّدات الأخرى لشروط الصدق، ولنلاحظ علاوة على ذلك أن الجملة في كل حالة من هذه الحالات تحدّد فقط مجموعة من شروط الصدق المتعلقة بسياق معين a particular context. ذلك لأن لكل مثال من هذه الأمثلة عنصراً تأشيرياً ما some indexical element مثل الزمن المضارع أو «هنا» الإشارية the demonstrative «here» أو وقوع أوصاف محددة تابعة سياقياً the occurrence of contextually dependent definite descriptions مثل «القطة» و«البساط».

وفي هذه الأمثلة فإن عناصر الجملة المعتمدة على السياق مدركة صراحة في البنية الدلالية للجملة: إذ يستطيع المرء أن يرى ويسمع التعبيرات التأشيرية. إلا أن هذه الجمل، مثل معظم الجمل، تحدّد فقط مجموعة من شروط الصدق إزاء خلفية من الافتراضات a background of assumptions التي لا تكون متحققة تحقّقاً صريحاً explicitly realized في البنية الدلالية للجملة. إن هذا واضح للغاية بالنسبة لـ (١) و(٣)، لأنهما يحويان ألفاظاً نسبية مثل «طويلة» «tall» و«حار» «hot» وهذه الألفاظ هي ما يدعوها النحويون التقليديون (ألفاظاً وصفية) attributive terms وهي تُحدّد فقط مجموعة محدودة من شروط الصدق إزاء خلفية من الفروض الواقعية a

background of factual assumptions حول نوع الأشياء المشار إليها من قبل المتكلم في بقية الجملة. وعلاوة على ذلك فإن هذه الفروض ليست متحققة صراحة في البنية الدلالية للجملة. وبالتالي فإن المرأة يمكن أن تكون موصوفة وصفا صحيحا بأنها «طويلة» على الرغم من أنها أقصر من زرافة ما يمكن أن تكون موصوفة وصفا صحيحا بأنها «قصيرة».

وعلى الرغم من أن اعتماد هذا التطبيق للمعنى الحرفي للجملة على فروض خلفية واقعية معينة certain factual background assumptions هي ليست جزءا من المعنى الحرفي واضح أشد الوضوح بالنسبة للجمال الحاوية ألفاظاً وصفية attributive terms إلا أن الظاهرة عامة تماما. فالجملة (٢) تحدّد فقط مجموعة محدودة من شروط الصدق في ظل فروض معينة حول القطط والأبسطة وعلاقة الوجود على. ومع ذلك فإن هذه الفروض ليست جزءا من المحتوى الدلالي للجملة. لنفترض على سبيل المثال أن القطعة والبساط في الشكل الفضائي المعتاد لقطعة على بساط، إلا أن القطعة والبساط في الفضاء الخارجي، خارج أي حقل للجاذبية يكون بالإمكان نسبةً إليه أن يقال عن أحدهما أنه فوق أو على الآخر، فهل ستظل القطعة على البساط؟

و بدون فروض ما أبعد من ذلك فإن الجملة لن تُحدّد مجموعة محدودة من شروط الصدق في هذا السياق. أو لنفترض أن كل القطط أصبحت فجأة أخف من الهواء وأن القطعة ارتفعت طائفة تحلق والبساط ملتصق ببطنها فهل تظل على البساط؟ إننا نعرف بلا أي تردد شروط صدق «الذبابة على السقف» بيد أننا لا نعرف شروط صدق «القطعة على السقف» وهذا الاختلاف ليس شأننا خاصا بالمعنى وإنما بكيفية تمكّنا خلفية معلوماتنا الواقعية أن نطبق معاني الجمل. وعموما يمكن للمرء أن يقول إن في معظم الحالات تحدّد جملة ما فقط مجموعة شروط الصدق بناءً على مجموعة الفروض غير المتحققة في المحتوى الدلالي للجملة، وبالتالي فحتى في التلغظات الحرفية، حيث يتطابق معنى المتكلم مع معنى الجملة، فإن المتكلم يجب أن يضيف إلى التلغظ الحرفي أكثر من مجرد المحتوى الدلالي للجملة لأن ذلك المحتوى الدلالي يحدّد فقط مجموعة شروط الصدق بناءً على مجموعة الفروض المشكّلة من قبل المتكلم، وإذا ما كان للتواصل أن يكون ناجحا فيجب أن يشاركه السامع في فروضه (المزيد من المناقشة حول هذه النقطة، انظر: Searle, ١٩٧٨).

ولنلاحظ في النهاية أن مفهوم التشابه يلعب دوراً حاسماً في أي طرح للتلفظ الحرفي. وهذا لأن المعنى الحرفي لأي لفظ عام *general term* يُحدّد أيضاً بتحديدده لمنظومة شروط الصدق *a set of truth conditions* معياراً للتشابه بين الموضوعات. فمعرفة أن لفظاً عاماً *a general term* صادق على مجموعة من الموضوعات يعني معرفة أنها متشابهة من جهة الخاصية المحددة *property specified* بذلك اللفظ. فكل النساء متشابهات من جهة كونهن طويلات وكل الغرف متشابهة من جهة كونها حارة، وكل الموضوعات المربعة متشابهة من جهة كونها مربعة وهكذا. و لكيما نوجز هذا النقاش القصير لبعض جوانب التلفظ الحرفي هناك ثلاث سمات سنحتاج أن نضعها في أذهاننا في طرحنا للتلفظ الاستعاري. أولاً، في التلفظ الحرفي المتكلم يعني ما يقوله؛ أي أن معنى الجملة الحرفي ومعنى تلفظ المتكلم هما الشيء ذاته. ثانياً، إن المعنى الحرفي عموماً لجملة ما يُحدّد فقط مجموعة شروط الصدق بناءً على مجموعة الفروض الخلفية التي ليست جزءاً من المحتوى الدلالي للجملة، وثالثاً، فإن مفهوم التشابه يلعب دوراً أساسياً في أي طرح للحمل الحرفي.

و حين نلتفت إلى الحالات التي يكون فيها معنى التلفظ و معنى الجملة مختلفين، فإننا نجدّها متنوعة تماماً. وبالتالي فإنه بالإمكان لـ (٣) على سبيل المثال أن تكون متلفظة ليس فقط لتخبر أحداً أن الحر يزداد في المكان (تلفظ حرفي) لكن يمكن أيضاً أن تكون مستخدمة لتلتمس من أحد ما أن يفتح النافذة (فعل كلام غير مباشر) *(indirect speech act)* أو لتشكو حول كم هو الجو بارد (تلفظ ساخر).

(ironical utterance) أو لتعلق على الإقذاع المتزايد *the increasing vituperation* لنزاع يتطور (تلفظ استعاري). وفي طرحنا للتلفظ الاستعاري سنحتاج أن نميزه ليس فقط عن التلفظ الحرفي وإنما أيضاً عن هذه الأشكال الأخرى التي يتم فيها الانفصال عن التلفظ الحرفي أو يكون مُتجاوزاً *exceeded* بطريقة ما.

ولأن ما يعنيه المتكلم في التلفظات الاستعارية يختلف عما يقوله «بمعنى واحد لـ (يقول)»، فإننا سنحتاج عموماً جملتين لأمثلتنا عن الاستعارة - أولاً الجملة المتلفظة استعارياً، وثانياً جملة تعبر حرفياً عما يعنيه المتكلم حين يتلفظ الجملة الأولى ويعنيها - وهكذا فإن «٣»، الاستعارة «اس»:

(٣) (اس) الجو يشتد حراً هنا.

تقابل (٣) القول الشارح «شا»:

(٣) (شا) الخلاف الدائر يتزايد إقذاً وكذلك مع الأزواج الأخرى:

(٤) (اس) سالي لوح ثلج

(٤) (شا) سالي شخصية غير عاطفية وغير متجاوبة على الإطلاق

(٥) (اس) إنني أتسلق إلى قمة العمود الزلق «ديزرائيلي»

«Met» I have climbed to the top of the greasy pole Disraeli
(

(٥) (شا) لقد أصبحت بعد مشقة شديدة رئيساً للوزراء

«PAR» I have after great difficulty become prime minister.

(٦) (اس) ريتشارد غوريلا

«Richard is a gorilla»

(٦) (شا) ريتشارد مفترس وقذر وميال للعنف

«PAR» Richard is fierce, nasty, and prone to violence.

لنلاحظ أننا في كل حالة نشعر أن العبارة الشارحة غير وافية بصورة ما، و أن شيئاً ما مفقود. وستكون إحدى مهامنا هي أن نفسر معنى عدم الإشباع dissatisfaction هذا الذي نستشعره مع العبارات الشارحة حتى تلك الخاصة بالاستعارات الواهنة Feeble metaphors ومع ذلك. وبمعنى ما، فإنه يجب على العبارات الشارحة أن تقارب ما عناه المتكلم، لأن في كل حالة من الحالات سيكون التقرير الاستعاري للمتكلم the speaker's metaphorical assertion صادقاً true، وفقط لو، كان التقرير المقابل المستخدم للجملة الشارحة صادقاً true. وعندما نصل إلى أمثلة أكثر تعقيداً فإن شعورنا بعدم كفاءة العبارة الشارحة يعد أكثر حدة. إذ كيف سنشرح paraphrase

(٧) (اس) لقد انتصبت حياتي - مسدساً محشواً - في

الزوايا إلى يوم

يمر المالك - فعرفني

وحملني بعيداً «إميلي ديكنسون».

«٧» «MET» My life had stood – a Loaded Gun – In Corners – till a
Day

The owner passes – identified

And Carried Me a way - «Emily Dickinson»

وبوضوح، فإن قدراً كبيراً مفقود في

(٧) «شا» كانت حياتي حياة غير متحققة إلا أنها كانت بسهولة ممكنة وقابلة للتحقق
«مسدس مشحون» في عوالم متواضعة mediocre surroundings «زوايا» إلى ذلك
الوقت «يوم» حين أتى «مر» عاشقي الموعود «المالك»، عرف إمكاني «تعرفني»
وأخذني «حملني» بعيداً.

«٧» «PAR» My life was one of unrealized but readily realizable
potential «a loaded gun» in mediocre surroundings «corners» until
such time «a day» when my destined lover «the owner» came
«passed», recognized my potential «identified», and took «carried»
me a way.

ومع ذلك فحتى في هذه الحالة، فإن القول الشارح أو ما هو شبيه به لابد من أن يعبر عن
جزء كبير من معنى تلفظ المتكلم، لأن شروط الصدق هي نفس الشروط. أحياناً نشعر أننا
نعرف بالضبط ما تعنيه الاستعارة ومع ذلك فإننا لا نكون قادرين أن نصوغ جملة حرفية
شارحة لأنه ليس ثمة تعبيرات حرفية تتقل ما تعنيه. ولذا فحتى بالنسبة لمثال بسيط
كالمثال التالي (٨) «اس» السفينة حرثت البحر،

«٨» «MET» The Ship Ploughed the sea,

يمكن ألا نكون قادرين أن نبني جملة قول شارح بسيطة على الرغم من أنه ليس ثمة التباس obscurity في التلفظ الاستعاري. وبالفعل فإن الاستعارات غالباً ما تعمل على أن تسد فجوات دلالية semantic gaps كهذه الفجوة. وفي حالات أخرى يمكن أن يكون هناك سلسلة لا محدودة من العبارات الشارحة. على سبيل المثال، حين يقول روميو:

(٩) (اس) جوليت هي الشمس

«٩» «MET» Juliet is the sun

يمكن أن تكون هناك سلسلة من الأشياء التي قد يعنيها. لكن بينما نتباكى على عدم كفاءة العبارات الشارحة، دعونا أيضاً نتذكر أيضاً أن العبارة الشارحة هي علاقة تناظرية a symmetrical relation. إن القول إن العبارة الشارحة هي عبارة شارحة فقيرة حول الاستعارة يعني أيضاً القول إن الاستعارة هي عبارة شارحة فقيرة حول عبارتها الشارحة. وعلاوة على ذلك، فلا ينبغي لنا أن نكون اعتذاريين حول أن بعض أمثلتنا مطروقة trite أو استعارت ميتة dead metaphors. ذلك أن الاستعارة الميتة مهمة أهمية خاصة لدراستنا لأن الاستعارة الميتة، إذا ما تحدثنا على سبيل الخلف [التنافي الدلالي] oxymoronicly، تعيش. فقد أصبحت ميتة عبر الاستخدام المستمر، إلا أن استخدامها المستمر هو دلالة على أنها تلبي احتياجاً دلالياً ما. إننا نستطيع أن نقول، قاصرين أنفسنا على أبسط أمثلة الموضوع – المحمول، إن الشكل العام للتلفظ الاستعاري هو أن المتكلم يتلفظ جملة لها الشكل «س هي ب» وتعني استعاريًا أن س هي ر. وفي تحليل الحمل الاستعاري metaphorical predication فإننا نحتاج أن نميز، وفق ذلك، بين ثلاثة عناصر. أولاً هناك تعبير الموضوع «س» «s» the subject expression والشئ the object المستخدم ليحيل عليه، أو الأشياء المستخدمة لتحيل عليه. ثانياً، هناك تعبير المحمول «ب» «p» the predicate expression المتلفظ والمعنى الحرفي لذلك التعبير مع شروط الصدق المقابلة له its corresponding truth conditions، زائد الدلالة التعينية «المرجعية» the denotation إذا ما وجدت. وثالثاً، هنا معنى تلفظ المتكلم «س هي ر» وشروط الصدق المحددة بذلك المعنى. فمشكل الاستعارة في أبسط أشكاله هو محاولة الحصول على تشخيص للعلاقات بين المجموعات الثلاث س و ب و ر، (١) مع تخصيص المعلومات والمبادئ الأخرى المستخدمة من قبل المتكلمين

والسامعين لكيما يتم تفسير كيف يكون ممكناً أن تتلفظ «س هي ب» وتعني «س هي ر» وكيف يكون ممكناً أن توصل ذلك المعنى من المتكلم إلى السامع. والآن من الواضح أن فهم التلفظات ليس كل ما هنالك، إذ أن المتكلم يفعل أكثر من مجرد أن يجزم أن س هي ر وسيجب أن تُفسّر الفعالية الخاصة للاستعارة the peculiar effectiveness of metaphor's بناءً على كيف يفعل أكثر من مجرد تأكيد أن س هي ر ولم ينبغي عليه أن يختار هذا الطريق الملتف roundabout way لتأكيد أن س هي ر في المقام الأول. ولكن في هذه المرحلة فإننا نبدأ من البداية. ومن أدنى حد، إذ يجب على نظرية عن الاستعارة أن تفسر كيف يمكن أن تُتلفظ «س هي ب» وكلاهما يعني ويوصل أن س هي ر.

إننا نستطيع الآن أن نذكر إحدى الاختلافات بين التلفظات الحرفية والاستعارية بوصفها مُطبّقة على هذه الأمثلة البسيطة: في حالة التلفظ الحرفي يكون معنى المتكلم ومعنى الجملة هو ذاته the same، ولذا فإن التأكيد المصنوع حول الموضوع المشار إليه سيكون صادقاً لو وفقط لو أنه يلبي شروط الصدق المحددة بمعنى الحد «اللفظ» العام the general term كما هو مستخدم إزاء مجموعة فروض الخلفية المشتركة.

ولكيما يفهم المستمع التلفظ فإنه لا يتطلب أية معرفة إضافية any extra knowledge وراء معرفته بقواعد اللغة، ووعيه بظروف التلفظ ومجموعة فروض الخلفية المشتركة. لكن في حالة التلفظ الاستعاري فإن شروط صدق التقرير the truth condition of the assertion ليست محدّدة بشروط صدق الجملة وحدها «لفظها» العام. ولكيما يفهم المستمع التلفظ الاستعاري فإنه يحتاج شيئاً آخر أكثر من معرفته باللغة، و هو وعيه بظروف التلفظ والفروض الخلفية التي يشارك فيها المتكلم.

إذ يجب أن يكون لديه بعض المبادئ الأخرى، أو بعض المعلومات الواقعية الأخرى، أو تركيب من المبادئ و المعلومات يمكّنه من أن يكتشف أنه حين يقول المتكلم، «س هي ب» فإنه يعني «س هي ر». ما هذا العنصر الإضافي؟

إنني أعتقد على المستوى الأكثر عمومية أن للسؤال جواباً بسيطاً إلى حد ما، إلا أنه سيأخذ مني الكثير من بقية هذا النقاش لأبين أية تفاصيل خاصة به. فالمبدأ الأساسي الذي تعمل عليه كل استعارة هو أن التلفظ بتعبير بمعناه الحرفي وشروط الصدق المقابلة

يمكن، بطرق عديدة خاصة بالاستعارة، أن يستدعي للذهن معنى آخر ومجموعة مقابلة من شروط الصدق. إن المشكل الصعب لنظرية الاستعارة هو أن تشرح بالضبط ما المبادئ التي وفقاً لها يمكن التلفظ بتعبير ما على نحو استعاري أن يستدعي للذهن مجموعة مختلفة من شروط الصدق عن المجموعة المحددة بمعناها الحرفي، وأن تُذكر تلك المبادئ بدقة وبدون استخدام تعبيرات استعارية مثل «تستدعي للذهن».

بعض الأخطاء الشائعة حول الاستعارة

قبل محاولة تخطيط نظرية للاستعارة أريد في هذا القسم وفي القسم التالي أن أراجع قليلاً واختبر بعض النظريات القائمة. القائمة. إذا ما تكلمنا على وجه التقريب، فإن نظريات الاستعارة من أرسطو إلى الآن يمكن أن تقسم إلى نمطين من النظريات (٢). نظريات المقارنة comparison theories التي تؤكد أن التلفظات الاستعارية تحوى مقارنة a comparison أو تشابهاً similarly بين موضوعين أو أكثر (e.g., Aristotle, ١٩٥٢a, Henle, ١٩٦٥, ١٩٥٢b) و نظريات التفاعل الدلالي semantic interaction theories التي تزعم أن الاستعارة تحوى تعارضاً لفظياً a verbal opposition (Beardsley, ١٩٦٢) أو تفاعلاً interaction (Black, ١٩٦٢) بين محتويين دلاليين two semantic contents محتوى خاص بالتعبير المستخدم استعارياً، ومحتوى خاص بالسياق الحرفي المحيط the surrounding literal context.

وأعتقد أن كلا التيارين من هذه النظريات، إذا ما حاول المرء أن يأخذهما بشكل حرفي تماماً، غير وافٍ بطرائق عديدة، ومع ذلك فهما يحاولان أن يقولوا شيئاً حقيقياً true، وينبغي علينا أن نحاول أن نستخرج ما هو حقيقي فيهما. إلا أنني أريد أولاً أن أظهر بعض الأخطاء الشائعة التي تحويها هذه النظريات وبعض الأخطاء الأخرى الشائعة المقترفة في مناقشة الاستعارة، وهدفى هنا ليس جدلياً وإنما أحاول أن أهئ الأرضية من أجل تطوير نظرية للاستعارة. ويمكن للمرء أن يقول إن الآفة المستوطنة the endemic vice لنظريات المقارنة تتمثل في أنها تخفق في أن تميز بين دعوى أن عبارة المقارنة the statement of comparison جزء من معنى العبارة الاستعارية، وبالتالي من شروط صدق العبارة الاستعارية، ودعوى أن عبارة التشابه هي مبدأ الاستدلال the

principle of inference، أو خطوة في عملية الفهم، الذي على أساسه ينتج المتكلمون ويفهم المستمعون الاستعارة.

(وثمة المزيد حول هذا التمييز فيما بعد). أما نظريات التفاعل الدلالي فقد نشأت استجابة لضعف نظريات المقارنة، ولا يوجد لديها كطرح مستقل بذاته سوى القليل ليوصى به خلاف ضعف منافساتها: إذ تتمثل آفتها المستوطنة في فشلها في أن تقدر قيمة التمييز بين الجملة أو معنى الكلمة، الذي ليس استعارياً على الإطلاق، ومعنى المتكلم أو التلفظ الذي يمكن أن يكون استعارياً. إذ عادة ما تحاول هذه النظريات أن تموقع to local some set of the sentence associations with the sentence. وأياً ما كان، فلدينا نصف دسته من الأخطاء التي أعتقد أنه ينبغي ملاحظتها:

إنه غالباً ما يقال إن في التلفظات الاستعارية تغييراً في المعنى لتعبير واحد على الأقل. وما أرغب في قوله، إذا ما تكلمنا بدقة، هو على العكس تماماً من ذلك، وهو أنه في الاستعارة لا يوجد على الإطلاق تغير في المعنى، وإذا ما تكلمنا على المستوى الدياكروني فإن الاستعارات في الواقع تدشن تغيرات دلالية semantic changes لكن إلى حد أنه يكون هناك تغير أصيل في المعنى a genuine change in meaning بحيث إن الكلمة أو التعبير لا يعود أي منهما يعنى ما كان يعنيه من قبل، بدقة إلى حد أن القول the locution لم يعد استعارياً metaphorical. وجميعنا متآلف مع العمليات التي بواسطتها يصبح تعبير ما استعارة ميتة؛ ومن ثم يصبح أخيراً رسماً an idiom أو يكتسب معنى جديداً مختلفاً عن المعنى الأصلي the original meaning. أما في حالة تلفظ استعاري أصيل فإن التلفظ لا يكون استعارياً إلا بسبب أن التعبيرات لم تغير معناها من الأصل. إن من يزعمون هذا الزعم يبدو أنهم يخلطون معنى الجملة بمعنى المتكلم، فالتلفظ الاستعاري يعنى بالفعل شيئاً مختلفاً عن معنى الكلمات والجمال لكن ذلك ليس لأن ثمة أي تغير في معاني العناصر المعجمية the meanings of the lexical elements، ولكن لأن المتكلم يعنى بها شيئاً مختلفاً، فمعنى المتكلم speaker meaning لا يتطابق مع معنى الجملة أو الكلمة. إن رؤية هذه النقطة تعد أساسية، لأن المشكل الرئيس للاستعارة هو تفسير كيف يكون معنى المتكلم ومعنى الجملة مختلفين وكيف يكونان، على الرغم من ذلك، مرتبطين، إن مثل هذا التفسير يعد مستحيلاً إذا ما افترضنا أن معنى الجملة أو معنى الكلمة يتغير في التلفظ الاستعاري. إن أبسط طريقة

لإظهار أن النسخ الفجة من نظرية المقارنة زائفة هي إظهار أنه، في إنتاج وفهم التلغظات الاستعارية، لا تكون ثمة حاجة لوجود أيّ من موضوعي المقارنة. فحين أقول استعارياً.

(٤) (اس) سالي لوح ثلج،

فإنني لا أكمّم [أقيس كمياً] quantifying على الإطلاق ألواح الثلج. فتلفظي لا يلزم عنه حرفياً أن لدينا (س) و أن (س لوح ثلج) , (x is a block of ice) (X) (١٠) وبحكم ذلك فإنني لا أقارن سالي بـ س x. وهذه النقطة تزداد وضوحاً حتى إذا ما أخذنا التعبيرات المستخدمة بوصفها استعارات تمديدها صفر (فارغ) a null extension.

فلو أنني أقول

(١١) سالي تتين

(١١) Sally is a dragon

فإنه لا يلزم عن ذلك حرفياً أن

(١٢) لدينا (س) و أن (س تتين).

(١٢) (X is a dragon) (X).

أو طريقة أخرى لرؤية الشيء ذاته، و هي أن نلاحظ أن الجملة المنفية استعارية تماماً كالجملة المثبتة the affirmative.

فلو أنني قول

(١٣) سالي ليست لوح ثلج

(١٣) Sally is not a block of ice

فإنني، أفهمها، لا على أنها تستدعي السؤال السخيف: أي لوح ثلج هذا الذي تقارن سالي معه، كيما تقول إنها ليست مثله؟ إن نظرية المقارنة، في صيغتها الأكثر فجاجة، مشوشة تماماً حول السمة المرجعية للتعبيرات المستخدمة استعارياً.

والآن، قد يبدو هذا اعتراضاً ثانوياً بعض الشيء على مُنظري المقارنة، إلا أنه يُمهّد السبيل لاعتراض أكثر راديكالية إلى حد كبير. إن نظريات المقارنة التي تُعد صريحة تماماً حول القضية، عموماً ما تعالج عبارة المقارنة the statement of the comparison بوصفها جزءاً من المعنى ومن ثم بوصفها جزءاً من شروط صدق العبارة الاستعارية the

truth conditions of the metaphorical statement. على سبيل المثال، فإن ميلر (في هذا المجلد) صريح تماماً في النظر إلى العبارات الاستعارية بوصفها عبارات تشابه statements of similarity، وبالفعل فإن معنى العبارة الاستعارية بالنسبة لمثل هؤلاء المُنظِّرين دائماً ما يكون معطى بواسطة عبارة صريحة للتشابه an explicit statement of similarity. وبالتالي، فإنني وفق رؤيتهم، لا أصوغ المشكل حتى صياغة صحيحة. أما وفقاً لي، فإن مشكل تفسير استعارات (الموضوع – المحمول البسيطة) يتمثل في تفسير كيف يمضى المتكلم والمستمع من معنى الجملة الحرفي «س هي ب» إلى معنى التلفظ الاستعارى «س هي ر». لكن، وفقاً لهم، فإن ذلك ليس معنى التلفظ، وإنما يجب أن يكون معنى التلفظ قابلاً للتعبير عنه بواسطة عبارة تشابه صريحة، من قبيل «س مثل ب من جهة ر» « S is like P with respect to R » أو كما هو في حالة ميلر، ينبغي تحليل العبارة الاستعارية «س هي ب» على أن «ثمة خاصية ما ف وخاصية ما ج بحيث يكون وجود س ل ف مشابه لوجود ج ل ب».

وسيكون لديّ المزيد لأقوله بخصوص هذه الفرضية وصياغتها المنضبطة لاحقاً، إلا أنني أريد الآن أن أدعى أنه على الرغم من أن التشابه غالباً ما يلعب دوراً في فهم الاستعارة، فإن التقرير الاستعارى the metaphorical assertion ليس بالضرورة تقريراً للتشابه. وأبسط الحجج على أن التقارير الاستعارية ليست دائماً تقاريراً للتشابه هو أن ثمة تقارير استعارية حقيقية true metaphorical assertions لا توجد لها موضوعات يشخصها الحد ب، ومن ثم فإن العبارة الاستعارية الحقيقية من الممكن ألا تستطيع أن تقتض سلفاً وجود موضوع المقارنة. لكن حتى حيث توجد موضوعات للمقارنة، فإن التقرير الاستعارى ليس بالضرورة تقريراً للتشابه. فالتشابه، فيما أزعّم، يرتبط بإنتاج وفهم الاستعارة وليس بمعناها.

ثمة حجة ثانية بسيطة لنظهر أن التقارير الاستعارية ليس بالضرورة تقاريراً للتشابه وهي أن التقرير الاستعارى غالباً ما يمكن أن يبقى حقيقياً true على الرغم من أنه يتكشف عن أن عبارة التشابه المؤسس عليها الاستدلال على المعنى الاستعارى تكون زائفة (كاذبة) false. وبالتالي، فلنفرض أنني أقول،

(٦) (اس) ريتشارد غوريلا

المعنى

(٦) (شا) ريتشارد مفترس، وقذر، وميال للعنف وما إلى ذلك.

ولنفترض أن استدلال المستمع على (٦ شا) مؤسس على اعتقاد أن (١٤) الغوريالات مفترسة، وقذرة وميالة للعنف وما إلى ذلك، ومن ثم فإن (٦ اس) و(١٤) وفق رؤية المقارنة، ستبرر الاستدلال على

(١٥) ريتشارد والغوريالات متشابهان في جوانب عديدة، أي أنهم مفترسون وقذرون وميالون للعنف وما إلى ذلك، وسيكون هذا بدوره جزءاً من نمط الاستدلال الذي مكن السامع من أن يستنتج أنني حين تلفظت (٦ اس) عنيت (٦ شا). لكن لنفرض أن البحث في علم السلوك الحيواني ethological investigation يُظهر، كما قيل لي، أن الغوريالات ليست على الإطلاق مفترسة وقذرة، وإنما هي في الواقع كائنات خجولة وحساسة، تتملكها نوبات من العاطفية.

إن هذا سيُظهر حتماً أن (١٥) كاذبة، لأن (١٥) كما هي تقرير حول الغوريالات فإنها تقرير حول ريتشارد. لكن هل سيظهر أنني حين تلفظت (٦ اس) كان ما قلته كاذباً؟ بوضوح لا، لأن ما عنيته كان (٦ شا) و(٦ شا) هي تقرير حول ريتشارد. إذ يمكنها أن تظل صادقة true بغض النظر عن الحقائق الفعلية the actual facts حول الغوريالات. مع أن بالطبع أية تعبيرات نستخدمها لنوصل محتويات دلالية معينة توصيلاً استعارياً سيعتمد بشكل طبيعي على ما نأخذه على أنه الوقائع the facts.

لنصغها صياغة فجّة، «ريتشارد غوريلا» هي فقط حول ريتشارد، وليست حرفياً حول الغوريالات بالمرّة. فكلّمة «غوريلا» هنا تعمل لتوصّل محتوى دلالياً معيناً عدا المعنى الخاص بها بواسطة مجموعة من المبادئ التي لم أذكرها بعد. لكن (١٥) حرفياً حول كل من ريتشارد والغوريالات وهي صادقة لو وفقط لو أن كليهما يشتركان في الخصائص التي تزعم أنهما يشتركان فيها وإذاً يمكن أن يكون صادقاً تماماً أن المستمع يوظف شيئاً ما مثل (١٥) كخطوة ضمن الإجراءات التي تجعله ينتقل من (٦ اس) إلى (٦ شا)، إلا أنه لا ينتج عن هذه الواقعة الخاصة بإجراءات مقارنته أن يكون هذا جزءاً من معنى تلفظ المتكلم لـ (٦ اس). وأنها في الواقع ليست جزءاً من معنى التلفظ يتم إظهاره بحقيقة أن العبارة الاستعارية يمكن أن تكون صادقة true حتى لو تكشف أن الغوريالات لا تتصف بالخواص التي عملت الواقعة الاستعارية لـ «الغوريلا» على أن توصّلها. إنني لا أقول إن أي تقرير استعارى لا يمكن له قط أن يكون معادلاً في المعنى لعبارة تشابه – سواء كان سيعتمد على مقاصد المتكلم أم لا، وإنما أقول إنه ليس سمة ضرورية للاستعارة –

وبالتأكيد ليس موضوع إحراز الاستعارة - أن تكون التقريرات الاستعارية معادلة equivalent في المعنى لعبارات التشابه.

إن طرحي غاية في البساطة: في حالات عديدة لا يمكن للعبارة الاستعارية ولعبارة التشابه المناظرة أن يكونا متساويين في المعنى equivalent in meaning لأن لهما شروط صدق مختلفة different truth conditions. وهذا هو الفارق بين الرؤية التي أهاجمها والرؤية التي سأصحابها. وفقاً للرؤية التي أهاجمها، فإن (٦ اس) تعنى أن ريتشارد والغوريلات متشابهان في جوانب معينة. ووفقاً للرؤية التي سأصحابها، فإن التشابه يعمل كاستراتيجية للفهم، وليس كمكون للمعنى: إن (٦ اس) تقول إن لريتشارد خصائص معينة certain traits (ولتكتشف ما هي، ابحث عن السمات المرتبطة بالغوريلات). وبناءً على طرحي فإن الحدب the p term لا يحتاج على الإطلاق أن يُصوّر حرفياً في عبارة شروط الصدق الخاصة بالعبارة الاستعارية.

إن ملاحظات مشابهة تنطبق بالمناسبة على التشبيهات. فلو أنني أقول،

(١٦) سام يسلك مثل غوريلا

فذلك لا يتطلب أن يلزمني بحقيقة

(١٧) الغوريلات هي التي يشبه سلوكها سلوك سام.

(١٧) Gorillas are such that their behavior Resemble Sam's.

لأن (١٦) لا تقتضى أن تكون حول الغوريلات على الإطلاق، وقد يمكننا أن نقول إن «الغوريلا» في (١٦) لها وقع استعاري a metaphorical occurrence. و ربما أن هذه هي الطريقة الوحيدة التي قد يمكننا أن نميز بها بين التشبيهات المجازية figurative similes والعبارات الحرفية للتشابه literal statements of similarity. إن التشبيهات المجازية لا تقتضى بالضرورة أن تُلزم المتكلم بعبارة حرفية للتشابه a literal statement of similarity.

أما رؤية التفاعل الدلالي فتبدو لي قاصرة بالقدر ذاته. إن أحد الفروض وراء رؤية أن المعنى الاستعاري نتاج تفاعل بين تعبير مستخدم استعارياً وتعابير مستخدمة حرفياً هو أن كل الاستخدامات الاستعارية للتعبيرات يجب أن تقع في جمل تحوى استخدامات حرفية للتعبيرات، وذلك الافتراض يبدو لي بوضوح زائفاً.

وهو، بالمناسبة، الافتراض القائم وراء مصطلحية terminology العديد من المناقشات المعاصرة للاستعارة.

إذ يقال لنا، على سبيل المثال، إن كل جملة استعارية تحوى "منقولاً" tenor و"ناقلًا" vehicle" (Richards, ١٩٣٦) أو "إطاراً" "frame" a و"بؤرة" Black, (١٩٦٢٦) a "focus"

لكن ليس الواقع هو أن كل استخدام استعارى لتعبير يكون محاطاً باستخدامات حرفية لتعبيرات أخرى. ولنتناول مرة أخرى مثالنا رقم (٤): في تلفظ «سالي لوح ثلج»، قد أحلنا على سالي مستخدمين اسم العلم الخاص بها حرفياً، إلا أننا لا نحتاج إليها. لنفرض أننا نستخدم استعاره مختلطة a mixed metaphor وأننا نحيل على سالي بوصفها "الأخبار الرديئة" "the bad news". وسنقول إذاً مستخدمين استعارة مختلطة.

(١٨) الأخبار الرديئة لوح ثلج.

(١٨) The bad news is a block of ice.

لو أنك تصر على أن الإسناد [فعل الكينونة] «is» the لا يزال حرفياً، فمن السهل بما يكفي أن تبني أمثلة ذات تغير درامي حول سالي حيث سنكون مبالغين، في استعارة مختلطة أخرى، إلي أن نقول:

(١٩) الأخبار الرديئة تجمدت في لوح ثلج.

(١٩) The bad news congealed into a block of ice.

إن الاستعارات المختلطة يمكن أن تكون قابلة للاعتراض الأسلوبى عليها stylistically objectionable, إلا أنني أستطيع أن أرى أنها بالضرورة غير متسقة منطقياً logically incoherent وبالطبع فإن معظم الاستعارات تقع في سياقات تعبيرات مستخدمة حرفياً. وسيكون من الصعب جداً أن نفهم لو لم تُستخدم حرفياً. إلا أنها ليست ضرورة منطقية أن كل استخدام استعارى لتعبير يقع محاطاً بتحقيقات [بأحداث] حرفية literal occurrences لتعبيرات أخرى، وبالفعل فإن أمثلة مشهورة عديدة للاستعارة ليست كذلك.

وهكذا، فإن مثال رسل لجملة خالية من المعنى تماماً «الرباعية تشرب» (تحتسى) التسوية،

«Quadrilaterality drinks procrastination»,

غالبا ما تُعطى تأويلا استعاريا كوصف لأي مؤتمر لما بعد الحرب لتخفيض سلاح القوى الأربع، لكن ما من كلمة من الكلمات المؤولة هكذا لها حدوث حرفي a literal occurrence، أي حيث يختلف معنى تلفظ المتكلم لكل كلمة عن معنى الكلمة الحرفي. ومع ذلك فإن أكثر الاعتراضات جدية على رؤية التفاعل الدلالي ليس هو أنها تفترض سلفا بشكل زائف أن كل التحققات الاستعارية للكلمات all metaphorical occurrences of word يجب أن تكون محاطة بتحقيق حرفي لكلمات أخرى، بل إنه حتى حيث يكون التحقق الاستعاري the metaphorical occurrence داخل السياق الخاص بالتحققات الحرفية، فليس الوضع عموما أن معنى المتكلم الاستعاري هو نتاج لأي تفاعل بين عناصر الجملة بأي معنى حرفي لـ «التفاعل». ولننظر مرة أخرى في مثالنا رقم (٤). ففي تلفظاته الاستعارية ما من شك في أي تفاعل بين المعنى الخاص بـ «الموضوع الأساسي» the principal subject (سالي) و«الموضوع الفرعي» the «subsidiary subject» (لوح ثلج). إن «سالي» اسم علم a proper name ليس له معنى على النحو ذاته تماما الذي يوجد به معنى لـ «لوح ثلج» وبالفعل فبوسع تعبيرات أخرى أن تكون مستخدمة لنتج الحمل الاستعاري نفسه the same metaphorical predication.

وبالتالي فإن

(٢٠) (الآنسة جونز لوح ثلج)

(٢٠) Miss Jones is a block of ice

أو

(٢١) تلك الفتاة الموجودة هناك في الزاوية لوح ثلج

(٢١) That girl over there in the corner is a block of ice

بالإمكان أن تكون متلفظة بمعنى التلفظ الاستعاري ذاته.

وأستنتج من ذلك أن كلاً من رؤية مقارنة الموضوع ورؤية التفاعل الدلالي كنظريات عامة، غير وافية inadequate.

وإذا ما كان لنا أن نشخص إخفاقهما بمصطلحات فريجية (نسبةً إلى فريجه) فلعلنا نقول إن رؤية المقارنة تحاول أن تفسر الاستعارة بوصفها علاقة بين المراجع references وأن رؤية التفاعل تحاول أن تفسرها بوصفها علاقة بين المعاني والمعتقدات المرتبطة بالمراجع. إن أنصار رؤية التفاعل يرون على نحو صحيح أن العمليات الذهنية والعمليات الدلالية المتضمنة في إنتاج وفهم التلغظات الاستعارية لا يمكنها أن تتضمن المراجع ذاتها، وإنما يجب أن تكون على مستوى القصدية intentionality، أي أنها يجب أن تتضمن علاقات على مستوى معتقدات ومعاني وترابطات وما إلى ذلك. ومع ذلك فإنهم يقولون بعد هذا على نحو غير صحيح إن العلاقات موضع التناول يجب أن تكون علاقات «تفاعل» (٣) غير مفسرة نوعاً ما، لكنها موصوفة استعارياً، بين إطار حرفي a literal frame وبؤرة استعارية metaphoric focus.

أما الخطئان الأخيران اللذان أرغب أن أذكرهما فهما ليس أمثلة لقول شيء ما كاذب عن الاستعارات، وإنما لقول شيء صادق true يخفق في أن يميز الاستعارة عن التلغظ الحرفي. وعليه فأحياناً ما يقال إن مفهوم التشابه يلعب دوراً حاسماً في تحليل الاستعارة، وأن التلغظات الاستعارية تكون معتمدة على السياق الخاص بتأويلها. لكن كما رأينا من قبل فإن كلا هاتين السمتين صادقتان بالنسبة للتلغظات الحرفية كذلك. فتحليل الاستعارة يجب أن يظهر كيف يلعب التشابه والسياق دوراً مختلفاً في الاستعارة عن دورهما في التلغظ الحرفي.

مزيد من الاختبار لنظرية المقارنة

إن إحدى السبل لإعداد نظرية للاستعارة هي اختبار نقاط القوى والضعف لإحدى النظريات القائمة. والمرشح الجلي للعب دور حصان القفز هذا this role of stalking horse هو نسخة نظرية المقارنة التي تعود إلى أرسطو والتي يمكن في الواقع وعلى الأرجح أن ينظر إليها على أنها رؤية الحس العام the common – sense view وهي النظرية التي تقول إن الاستعارة عامةً هي في الواقع تشبيه حرفي literal simile محذوف منه «مثل» «like» أو «الكاف» «as» ووجه الشبه فيها متروك دونما تحديد the respect of similarity left unspecified. وفق هذه الرؤية فإن التلغظ

الاستعاري «الإنسان ذئب» «man is a wolf» يعني «الإنسان مثل ذئب في نواح معينة غير محددة».

«Man is like a wolf in certain unspecified ways».

والتلفظ «أنت شمسي الساطعة».

«You are my sunshine».

يعني «أنت مثل الشمس الساطعة لي في جوانب معينة».

«You are like sunshine to me in certain respects».

و«سالي لوح ثلج» يعني «سالي مثل لوح ثلج في نواح معينة لكن غير محددة حتى الآن».

إن المبادئ التي تعمل على أساسها الاستعارات إذاً وفق هذه النظرية مطابقة لتلك المبادئ الخاصة بالعبارات الحرفية للتشابه إضافة إلى مبدأ الحذف the principle of ellipsis. إننا نفهم الاستعارة بوصفها نسخة مختزلة من التشبيه الحرفي. (٤) وبما أن التشبيه الحرفي لا يتطلب من أجل فهمه معرفة فوق لغوية خاصة special extra linguistic knowledge، فإن معظم المعرفة الضرورية لفهم الاستعارة متضمنة سلفاً في الكفاءة الدلالية للمتكلم والمستمع، إضافة إلى الخلفية المعرفية العامة بالعالم التي تجعل المعنى الحرفي قابلاً للفهم comprehensible.

لقد رأينا من قبل مثالب هذه الرؤية وأكثرها إثارة للانتباه أن العبارات الاستعارية لا يمكنها أن تكون مساوية في المعنى لعبارات التشابه الحرفية، لأن شروط الصدق الخاصة بنوعي العبارات تكون باستمرار مختلفة. وعلاوة على ذلك فإننا يجب أن نُشدد على أنه حتى بوصفها نظرية للفهم الاستعاري a theory of metaphorical comprehension في مقابل نظرية للمعنى الاستعاري - فإنه من المهم لنظرية التشبيه أن تكون التشبيهات الثاوية المدعاه the alleged underlying similes عبارات حرفية للتشابه. فلو أن عبارات التشبيه المفترض أن تفسر الاستعارة هي ذاتها استعارية أو خلاف ذلك مجازية figurative فإن تفسيرنا سيكون دائرياً circular. مع ذلك، فبمعاملتها كنظرية للفهم سيبدو هناك عدد كبير من الحالات (الأمثلة) التي يمكننا فيها أن نبني للتلفظ الاستعاري

جملة تشبيه يبدو بطريقة ما أنها تفسّر كيف يُفهم المعنى الاستعاري. وفي الواقع فحقيقة أن تخصيص قيم the specification of the values تُترك مبهمة vague بواسطة عبارة التشبيه the simile statement يمكن أن تكون، في الواقع، ميزة للنظرية an advantage of the theory، بما أن التلفظات الاستعارية غالباً ما تكون مبهمة vague في ذلك المنحني على وجه الدقة: إذ ليس من الواضح بالضبط ما الذي يفترض لـ R أن تكونه حين نقول إن س هي ب تعني استعارياً أن س هي ر. وبالتالي، على سبيل المثال، فإن كفيل cavell (١٩٧٦، pp. ٧٨-٩) في تحليل العبارة الاستعارية لروميو "جوليت هي الشمس" "Juliet is the sun"

يقول كجزء من تفسيرها إن روميو يعني أن يومه يبدأ بجولييت والآن بعيداً عن السياق الخاص بالمرسحية فإن تلك القراءة لن تخطر لي قط، إذ سأبحث عن خصائص أخرى للشمس لأملأ بها قيم ر في هذه الصيغة. وبقول هذا، فإنني لا أعتراض لا على شكسبير ولا على كفيل، لأن الاستعارة التي لدينا مثلها مثل معظم الاستعارات مفتوحة النهاية open – ended على ذلك النحو تحديداً. وعلى الرغم من ذلك فإن نظرية التشبيه على الرغم من جاذبيتها لديها مشكلات خطيرة، أولاً فإن النظرية تخفق بدرجة تزيد أو ربما تقل في أن تخبرنا كيف نحسب قيمة ر بالضبط exactly: بل إنها حتى الآن تخفق في أن تخبرنا كيف نحسبها من الأساس. أي أن النظرية ما زالت تقريباً لا تملك قوة تفسيرية explanatory power، لأن مهمة نظرية الاستعارة هي أن تفسر كيف يكون المتكلم والمستمع قادرين على أن يمضيا من «س هي ب» إلى «س هي ر»، و هي لا تفسر تلك العملية لتخبرنا أنهما يمضيان من «س هي ب» إلى «س هي ر» بواسطة الذهاب أولاً عبر مرحلة «س مثل ب من جهة ر» «S is like p with respect to R» لأنه لا يقال لنا كيف يفترض لنا أن نتبين أي القيم علينا أن نعزو ها إلى ر. إن التشابه similarity محمول فارغ a vacuous predicate إذ أن أي شيئين متشابهان في جانب ما أو آخر. إن قول إن العبارة الاستعارية «س هي ب» تتضمن العبارة الحرفية «س هي ر» لا يحل مشكلنا. إنه فقط يدفعها خطوة للوراء. فمشكل فهم التشبيهات الحرفية مع مراعاة أن التشابه متروك غير محدد هو فقط جزء من مشكل فهم الاستعارة. إذ كيف يفترض لنا أن نعرف، مثلاً، أن

التلفظ «جوليت هي الشمس» لا يعني «جوليت في معظمها غازية» «Juliet for the most part gaseous» أو «جوليت تبعد عن الأرض ٩٠ مليون ميلاً» «Juliet is ٩٠ million miles from the earth» حيث كلتا الخاصيتين من السمات البارزة والمعروفة جيداً عن الشمس.

ومع ذلك فهذا اعتراض آخر: من الحاسم لفرضية التشبيه أن يكون التشبيه مأخوذاً حرفياً، ومع ذلك فإنه يبدو أن ثمة تلفظات استعارية عديدة جداً لا يكون فيها تشابه حرفي مناظر فيه صلة relevant literal corresponding similarity بين س و ب. وإذا ما كنا سنصر على أن هناك دائماً مثل هذه التشبيهات، فسيبدو كما لو كان علينا أن نؤولها استعارياً، وبالتالي فإن تفسيرنا سيكون دائرياً circular. لننظر إلى المثال (٤) «سالي لوح ثلج» فلو كان لنا أن نحصي بصورة حرفية تماماً الخصائص المميزة المختلفة the various distinctive qualities ألواح الثلج، فإنه ما من واحدة منها ستكون صادقة true على سالي. و حتى لو كنا سنأخذ في الاعتبار المعتقدات المختلفة التي لدى الناس عن ألواح الثلج، فإنها ستظل مع ذلك غير صادقة حرفياً على سالي. إذ أنه ببساطه لا توجد فئة محمولات class of predicates، من قبيل أن سالي حرفياً مثل لوح ثلج من جهة ر حيث ر هي ما قصدنا أن تحمله استعارياً على سالي حين قلنا إنها لوح ثلج. فكونها غير عاطفية unemotional ليس سمة لألواح الثلج؛ لأن ألواح الثلج ليست لها صلة بهذا الشأن على الإطلاق، ولو أراد المرء أن يصر على أن ألواح الثلج هي حرفياً غير متجاوبه literally unresponsive، فإننا سنحتاج فقط حينئذ أن نوضح أن تلك السمة تظل غير كافية لنفس معنى التلفظ الاستعاري لـ (٤) لأنه بهذا المعنى فإن النيران المنقذة في الخلاء bonfires «غير متجاوبة» كذلك، لكن (٢٢) سالي نار منقذة sally (٢٢) is a bonfire

لها معنى تلفظ استعاري مختلف تماماً عن (٤). وعلاوة على ذلك فثمة تشبيهات عديدة لا تكون مقصودة حرفياً not intended literally. على سبيل المثال، فتلفظ «حبي مثل وردة حمراء، حمراء» «My love is like a red, red rose» لا يعني أن ثمة فئة محمولات حرفية a class of literal predicates صادقة على كل من حبي و الوردة الحمراء، الحمراء وذلك يعبر عما كان المتكلم يتوجه إليه حين قال حبه مثل وردة حمراء، حمراء.

إن المدافع عن فرضية التشبيه لا يلزمه مع ذلك أن يستسلم بسهولة شديدة، فعساه يقول إن العديد من الاستعارات هي أيضا أمثلة لمجازات أخرى كذلك. وبالتالي فإن «سالي لوح ثلج» ليست فقط مثالا للاستعارة وإنما للمبالغة hyperbole كذلك (٥). فمعنى التلفظ الاستعاري في الواقع مشتق من التشبيه derived from the simile «سالي مثل لوح ثلج» لكن كليهما إذاً الاستعارة والتشبيه هما حالتان من المبالغة hyperbole، فهما تضخيمان واستعارات عديدة هي عبارة عن تضخيمات exaggerations. ووفقاً لهذا الرد فلو أننا سنفسر كلاً من الاستعارة والتشبيه على أساس المبالغة hyperbolically، فإنهما سيكونان متساويين equivalent.

وعلاوة على ذلك، فقد يضيف المدافع عن فرضية التشبيه أنه لا يعد اعتراضاً على تفسير التشبيه أن يقال إن بعض الوجوه التي فيها سالي مثل لوح ثلج ستكون محدّدة استعارياً specified metaphorically لأنه يمكننا بالنسبة لكل تشبيه من هذه التشبيهات الاستعاريه أن نحدّد تشبيهاً آخر ثانياً another underlying simile إلى أن نصل أخيراً إلى حجر أساس (قاع) التشبيهات الحرفية the rock bottom of literal similes الذي يركز عليه البناء كله. وبالتالي، فإن «سالي لوح ثلج» تعني «سالي مثل لوح ثلج» وهو ما يعني «أنها تشترك في سمات معينة مع لوح الثلج، على وجه التحديد إنها باردة جداً» لكن بما أن «باردة» في «سالي باردة جداً» «sally is very cold» هي أيضاً استعارية، فإنه يجب أن يكون هناك تشابه ثانٍ an underlying similarity تكون فيه حالة سالي العاطفية مثل حالة البرودة coldness، وحين نحدّد أخيراً هذه الوجوه فإن الاستعارة ستكون قد حُلّت تماماً. و ثمة في الواقع مرحلتان بالنسبة لهذا الرد: أولاً إنه ينبّه إلى أن مجازات أخرى من قبيل المبالغة ترتبط أحيانا بالاستعارة، وهو ثانياً يقر أن بعض التشبيهات التي يمكننا أن نقدّمها بوصفها ترجمات translations للاستعارة تظل مع ذلك استعارية، بيد أنه يصر على أن إجراءً تكرارياً ما some recursive procedure لتحليل التشبيهات الاستعارية سيقودنا أخيراً إلى التشبيهات الحرفية.

فهل هذا الرد حقيقة كفؤ؟ أعتقد لا. فالمشكل هو أنه لا يبدو أنه توجد هناك أية تشابهات حرفية any literal similarities بين الموضوعات الباردة والناس غير العاطفين بحيث تُبرّر رؤية أننا حينما نقول استعارياً أن شخصاً ما بارد فإن ما نعنيه هو أنه غير عاطفي أو أنها غير عاطفية. ففي أي الجوانب بالضبط يكون الناس غير العاطفيين مثل الموضوعات الباردة؟ طبعاً، هناك بعض الأشياء التي يمكن للمرء أن يقولها جواباً على

هذا، إلا أنها جميعاً تتركنا ولدينا شعور ما بعدم الرضا. يمكننا أن نقول، مثلاً، إنه حين يكون شخص ما بارداً فيزيقياً فإن هذا يضع قيوداً حادة على عواطفه لكن حتى لو كان ذلك صادقاً (حقيقياً) TRUE ، فإنه ليس ما عنيناه بالتلفظ الاستعاري. إنني أعتقد أن الجواب الوحيد على سؤال «ما العلاقة بين الأشياء الباردة والبشر غير العاطفيين؟» الذي سيُبرر استخدام «بارد» كاستعارة لنقص العاطفة هو ببساطة أن الناس يجدون فيما يتعلق بالإدراكات والأحاسيس والممارسات اللغوية أن مفهوم البرودة مرتبط في أذهانهم بنقص العاطفة. فمفهوم الكائن البارد مرتبط تماماً بالكائن غير العاطفي.

ثمة دليل ما، بالمناسبة، أن هذه الاستعارة تعمل عبر ثقافات عديدة مختلفة: فهي ليست مقصورة على الناطقين بالانجليزية (cf. Asch, 1958) وعلاوة على ذلك ، فإنها حتى أخذت في أن تصبح، وأصبحت، استعارة ميتة a dead metaphor . بل إن بعض القواميس (على سبيل المثال قاموس أكسفورد) تدرج نقص العاطفة كأحد معاني «بارد» cold. فاستعارات الحرارة temperature metaphor للسّمات العاطفية والشخصية في الحقيقة شائعة إلى حد كبير وهي ليست مشتقة من أية تشابهات حرفية ثابتة any literal underlying similarities. ولذا فإننا نتحدث عن «نقاش ساخن» heated argument «ترحيب حار» «warm welcome» و «صداقة فاترة» a lukewarm «friendship» و «برودة»

جنسية «sexual frigidity». إن مثل هذه الاستعارات قاتلة بالنسبة لفرضية التشبيه fatal for the simile thesis ما لم يستطع المدافعون عنها إن ينتجوا ر حرفية يشترك فيها س و ب ، وتكون كافية لتفسر المعنى الاستعاري الدقيق المنقول.

و لأن هذه النقطة مقدر لها أن تكون موضع نزاع فيحسن أن نؤكد بالضبط على ما نتناوله. و انطلاقاً من ادعاء أنه لا توجد تشابهات كافية لتفسر معنى التلفظ، فإنني أدعى دعوى وجودية سالبة a negative existential claim وبالتالي ليست دعوى قابلة للبرهنة عليها من اختبار عدد محدود من الأمثلة.

إن المسؤولية the onus بالأحرى تقع على منظر التشابه لينص على التشابهات ويظهر كيف تستنفد معنى التلفظ. إلا أنه ليس من السهل بالمرّة أن يُرى كيف يسعه فعل ذلك بطريقة تتوافق مع قيود نظريته.

و بالطبع، يمكن المرء أن يفكر في العديد من الطرق التي تكون فيها أي س مثل أي ب، على سبيل المثال، طرق تكون فيها سالي مثل لوح ثلج، كما يستطيع المرء أن يفكر في

العديد من خصائص ف و خصائص ج من قبيل أن كون سالي ف مثل كون لوح الثلج ج.

One can think of lots of F's and G's such that sally's being F is living a block of ice's being G.

إلا أن هذا ليس كافياً. فمثل هذه التشابهات التي يستطيع المرء أن يسميها لا تستنفد معنى التلفظ، ولو أن هناك تشابهات تفعل هذا، فإنها بالتأكيد ليست واضحة.

لكن لنفرض أنه بوسع المرء بنوع من المهارة أن يستنبط تشابهاً يستنفد معنى التلفظ، فإن حقيقة أنه يتطلب الكثير من المهارة لاستنباطه هي ذاتها تجعل من غير المحتمل أن يكون هو المبدأ الثاوي للتأويل الاستعاري، بما أن الاستعارة واضحة: فما من صعوبة لأي متكلم من أبناء اللغة في أن يفسر ما تعنيه. ففي «سام خنزير» «Sam is a pig» كل من معنى التلفظ والتشابهات واضح، لكن في «سالي لوح ثلج» فإن معنى التلفظ هو الواضح.

إن الفرضية الأبسط إذاً هي أن هذه الاستعارة، مثل أخريات عديدة سأناقشها، تعمل على مبادئ سوى التشابه.

وما إن نبدأ نبحث عنها حتى يتكشف أن هذه الفئة من الاستعارات واسعة إلى حد كبير. على سبيل المثال فالاستعارات الفضائية العديدة للمدى الزمني the numerous spatial metaphors for temporal duration ليست مؤسسة على تشابهات حرفية. ففي «الوقت يطير» «time flies» أو «الساعات تزحف» «the hours crawled by» ما الذي يفعله الوقت والذي فعلته الساعات بحيث يكون حرفياً مثل الطيران أو الزحف؟ إننا مدفوعون أن نقول إنهما على التوالي مضيا بسرعة أو ببطء ، لكن بالطبع «مضى بسرعة» و «مضت ببطء» هي استعارات فضائية أبعد further spatial metaphors. وكذلك، فإن استعارات التدنق للسماوات الشخصية ليست مؤسسة على خصائص مشتركة. إذ أننا نتحدث عن «استعداد حلو» «a sweet disposition» أو «شخص مر» «a bitter person» دون تضمين أن الاستعداد الحلو والشخص المر لهما خواص حرفية مشتركة مع المذاقات الحلوة والمرّة التي تستنفد معنى التلفظ الخاص بالتلفظ الاستعاري. و بالطبع فإن الاستعدادات الحلوة و الأشياء الحلوة كلاهما سار، لكن المنقول بالاستعارة أكثر بكثير من مجرد السرور pleasantness. فثمة ترابطات استعارية معينة certain metaphorical associations مغروسة بعمق شديد في كل أسلوب

حساسيتنا؛ بحيث إننا نميل إلى أن نعتقد أنه لا بد من أن يكون هناك تشابه، أو حتى أن الارتباط نفسه هو شكل من أشكال التشابه. وبالتالي، فإننا نشعر أننا ميالون إلى أن نقول إن مرور الزمن مثله تماماً مثل حركة فضائية spatial movement، لكننا حين نقول هذا فإننا ننسى أن «المرور» «passage» هو فقط ليس إلا استعارة فضائية أخرى للزمن وأن التقرير الخالص للتشابه دونما تحديد لوجه التشابه، هو بدون محتوى.

إن أحذق صيغة رأيتها لفرضية التشابه هي تلك التي يقدمها جورج ميلر (في هذا المجلد)، وسأستطرد استطراداً موجزاً لأتناول بعض سماتها الخاصة. إن ميلر، مثله مثل منظرين آخرين للتشبيه، يعتقد أن معاني العبارات الاستعارية يمكن أن يعبر عنها كعبارات للتشابه، لكنه يقدم نوعاً خاصاً من عبارة التشابه (إلى حد ما مثل إحدى صيغ أرسطو، بالصدفة) كشكل «إعادة بناء» العبارات الاستعارية. وفقاً لميلر، فإن الاستعارات ذات الشكل (س) هي (ب) حيث كل من س و ب عبارات إسمية هي مساوية لجمل من الشكل.

(٢٣) لدينا (ف) و لدينا (ج) { حيث تتشابه [ف (س)، و ج (ب)] }.

(٢٣) $(\exists F)(\exists G) \{ \text{SIM} [F(S), G(P)] \}$.

وبالتالي، على سبيل المثال، فإن «الإنسان ذئب» سيتم تحليلها وفقاً لميلر على أن

(٢٤) ثمة خاصية ما ف وخاصية ما ج بحيث كون الإنسان ف هو مشابه لكون ذئب ما ج.

(٢٤) There is some property F and some Property G such that man's being F is similar to a wolf's being G.

وحيث تكون لدينا استعارات يستخدم فيها فعل أو محمول وصفى a verb or predicate
adjective F استعارياً في جملة من الشكل

"س هي ص" «x is F» أو "ف ع، ص" «xf's» فإن التحليل يكون من الشكل.

(٢٥) لدينا (ج) و لدينا (ي) { حيث تتشابه [ج (ص)، و ف (ي)] }.

(٢٥) $(\exists G)(\exists Y) \{ \text{SIM} [G(X), F(Y)] \}$.

وبالتالي على سبيل المثال، فإن «المشكل شائك» «The problem is thorny» ستحلل على أن .

(٢٦) ثمة خاصية ما ج وموضوعاً ما ي بحيث كون المشكل ج يكون مشابهاً لكون ي شائكاً.

(٢٦) There is some property G and some object y such that the problem's being G is similar to it's being thorny.

إنني أعتقد أن هذا الطرح ينطوي على كل مشكلات نظريات التشبيه الأخرى – وأعني أنه يفترض خطأ أن استخدام محمول استعاري يُلزم المتكلم بوجود موضوعات يصدق عليها ذلك المحمول صدقاً حرفياً، إنه يخلط شروط صدق العبارة الاستعارية بالمبادئ المفهومة في ظلها العبارة الاستعارية، فهو [أي هذا الطرح] يخفق في أن ينبئنا كيف نحسب قيم المتغيرات *how to compute the values of the variables* (و ميلر منتبه لهذا المشكل وهو يدعوه مشكل «التأويل» ويراه مختلفاً عن مشكل «إعادة البناء») وهو مفتد بحقيقة أنه ليست لكل الاستعارات عبارات تشابه حرفية تباطنهما. فضلاً عن أن له بعض المشكلات الإضافية الخاصة به. وفي منظوري، فإن أكثر نقاط ضعف طرح ميلر خطورة هي أنه وفقاً له توجد للمحتويات الدلالية لمعظم التلفظات الاستعارية محمولات عديدة للغاية *too many predicts*، وفي الحقيقة فليس سوى استعارت قليلة جداً هي التي تحقق فعلياً البنية الشكلية *the formal structure* التي تقدمها لنا.

لنأخذ، على سبيل المثال، «الإنسان ذئب» وهي فيما أعتقد النسخة الأكثر معقولية لفرضية التشبيه، فهي تعني شيئاً من قبيل الشكل.

(٢٧) الإنسان مثل ذئب في وجوه معينة، ر.

(٢٧) Man is like a wolf in certain respects, R.

(٢٨) تشابه (الإنسان و الذئب).

(٢٨) SIMR (man, wolf).

إن المطلوب من المستمع هو أن يحسب فقط مجموعة واحدة من المحمولات، القيم الخاصة بـ R the values of. لكن وفقاً لطرح ميلر فالمطلوب من المستمع هو أن يحسب ما لا يقل عن ثلاث مجموعات من المحمولات. و بما أن التشابه محمول فارغ ca vacuous predicate في حاجة إلى أن يقال لنا في أي جانب يكون الشئان متشابهين لكيما يكون لعبارة أنهما متشابهان أي محتوى إعلامي any information content وصياغته الشكلية للتلفظ الاستعاري المذكور هو

(٢٩) لدينا (ف) و لدينا (ج) {بحيث إن لدينا تشبيهاً إف (إنسان)، وج (ذئب)}
 $(\exists F) (\exists G) \{SIM [F (man), G (wolf)]\}$ (٢٩)

لكيما نكمل هذه الصيغة بطريقة تحدّد وجه التشابه سيكون علينا أن نعيد كتابتها هكذا

(٣٠) لدينا(ف) و لدينا (ج) و لدينا (هـ) { بحيث إن لدينا تشابهاً بين إف (إنسان)،
 وج (ذئب)}.
 $(\exists F) (\exists G) (\exists H) \{SIM H [F (man), G (wolf)]\}$ (٣٠)

لكنّ كلاً من إعادة الصياغة (٣٠) وأصل ميلر (٢٩) يحوي متغيرات محمولية عديدة :
 فحين أقول " الإنسان ذئب"، فإنني لا أقول إن ثمة مجموعات ما من الخصائص التي لدى
 البشر مختلفة عن تلك التي لدى الذئاب، وإنما أقول إن لديهم نفس المجموعة من
 الخصائص (على الأقل وفق تفسير متعاطف مع فرضية التشبيه و ذلك ما أقول به)
 لكن وفقاً لطرح ميلر، فإنني أقول إن لدى الإنسان مجموعة من الخصائص ف ولدى
 الذئاب مجموعة مختلفة من الخصائص ج و امتلاك الإنسان لـ ف مشابه لامتلاك الذئاب
 لـ ج من جهة بعض الخصائص الأخرى هـ . إنني أجادل بأن " إعادة البناء " هذه هي
 (أ) مضادة للحدس counterintuitive و (ب) غير محفزة Unmotivated و (ج)
 تسند إلى المتكلم و المستمع مهمة حسابية مستحيلة an impossible computing
 task ما الذي يفترض أن تكونه خصائص ف، ج، و هـ ؟

وكيف يفترض للمستمع أن يتبينها ؟ فليس من المفاجئ إذاً أن تكون معالجته لمشكل
 التأويل موجزة جداً (كروكية جداً) very sketchy و أن اعتراضات متشابهة تنطبق

على تفسيراته لأشكال تركيبية أخرى من التلغظات الاستعارية his account other syntactical forms of metaphorical utterances. وهناك فئة من الاستعارات وهي التي سادعوها " الاستعارات العلائقية " " relational metaphors " قد يكون تحليل مثل تحليله أكثر ملاءمة بالنسبة لها و بالتالي فلو أنني أقول :

(٨) السفينة حرثت البحر

أو

(٣١) واشنطن أبو بلده

(٣١) Washington is the father of his country

فإنه قد يمكن تأويلها باستخدام صيغ مثل صيغه. إذ أننا يمكن أن نعالج (٨) بوصفها مساوية لـ

(٣٢) ثمة علاقة ر للسفينة بالبحر وهي مشابهة لعلاقة المحاريث بالحقول حين تحرثها :

و(٣١) بوصفها

(٣٣) ثمة علاقة ما ر ل واشنطن ببلده مثل العلاقة التي للآباء بأبنائهم.

و (٣٢) و (٣٣) تصاغان بسهولة تامة وفق ميلر. و مع ذلك فحتى هذه التحليلات يبدو لي أنها تدعن أكثر من اللازم لمقاربتة : إذا أن (٨) لا تحيل لاضمناً ولا صراحةً على الحقول وما من إحالة على الأبناء. أمّا وفق النسخة الأبسط و الأكثر معقولية لفرضية التشبيه فإن (٨) و (٣١) مساويان لـ (٣٤) السفينة تقوم بشيء تجاه البحر مثل الحرث
(٣٤) The ship does something to sea which is like ploughing

و

(٣٥) واشنطن في علاقته ببلده مثل علاقته كأب.

(٣٥) Washington stands in a relation to his country which is like the relation of being a father.

ومهمة المستمع ببساطه هي أن يحسب العلاقات المقصودة في الحالتين . وبناءً على طرحي الذي سأطوره في القسم القادم، فإن التشابه لا يعمل بشكل عام كجزء من شروط الصدق سواء في طريقة ميلر أو في النسخة الأبسط، بل إنه حين يعمل فإنه يعمل بوصفه

استراتيجية للتأويل. و بالتالي، و بشكل فج جداً، فإن الطريقة التي يرتسم بها التشابه في تأويل (٨) و (٣١) تعطيه (٣٦) السفينة تقوم بشيء ما تجاه البحر (لتعرف ما هو اثر على

علاقة مثل الحرث)

(٣٦) The ship does something to the sea(to figure out what it is find a relation ship like ploughing)

و

(٣٧) واشنطن يحتل علاقة معينة بالنسبة لبلده (لتبين ما هي أثر على

(التمس) علاقة مثل تلك الخاصة بأب)

(٣٧) Washington stands in a cretin relationship to his country (to figure out what it is find a relationship like that of being a father).

بيد أنه لا يحب على المستمع أن يحسب أي الوجوه التي تكون فيها هذه العلاقات متشابهة، ما دام ذلك ليس هو ما يتم تقريره. وإنما ما يتم تقريره هو أن السفينة تقوم بشيء ما إزاء البحر وأن واشنطن يحتل مجموعة معينة من العلاقات إزاء بلده وعلى المستمع أن يكتشف ما الذي تقوم به السفينة وما العلاقات التي يحتلها واشنطن بالبحث عن علاقات مشابهة للحرث ولكون شخص ما أباً لأحد .

و ختاماً لهذا القسم : إن مشكل الاستعارة إما أنه صعب جداً أو سهل جداً. أمّا إذا كانت نظرية التشبيه true the simile theory صادقة فإنه سيكون سهلاً جداً لأنه لن تكون هناك مقولة (فئة) تصنيفية دلالية منفصلة للاستعارات no separate semantic category of metaphors وإنما فقط مقوله تصنيفية لتلفظات حذفية [قائمة على الحذف only a category elliptical utterance تكون فيها "مثل" أو "الكاف" محذوفة من الجملة المتلفظة. لكن للأسف، فإن نظرية التشبيه ليست صحيحة. ومشكل الاستعارة يظل صعباً جداً. وآمل أن يكون نقاشنا الطويل بعض الشيء لنظرية التشبيه منيراً على الأقل فيما يتعلق بهذه الجوانب. أولاً ، إن ثمة استعارات عديدة لا يكون فيها تشابه حرفي ثاو

(مباطن) بما يكفي ليفسر معنى التلفظ الاستعاري. و ثانياً، إنه حتى حين تكون هناك عبارة حرفية لازمة عن التشابه، فإن شروط صدق و بالتالي معنى العبارة الاستعارية و عبارة التشابه لا تكون واحدة بشكل عام. و ثالثاً، إن ما ينبغي علينا أن نحفظ به من نظرية التشبيه هو مجموعة من الاستراتيجيات الخاصة بإنتاج وفهم التلفظات الاستعارية باستخدام التشابه.

و رابعاً، فحتى و هي مفسرة على هذا النحو، أي مفسرة بوصفها نظرية للتأويل وليس للمعنى، فإن نظرية التشبيه لا تخبرنا كيف نحسب وجوه [جوانب] التشابه أو أي التشابهات هي المقصودة استعارياً من قبل المتكلم.

مبادئ التأويل الاستعاري

لقد حان الوقت الآن لمحاولة النص على المبادئ التي وفقاً لها تُنتج و تُفهم الاستعارات. و لنكرر السؤال الذي نحاول الإجابة عليه في أبسط أشكاله، وهو: كيف يكون ممكناً بالنسبة للمتكلم أن يقول استعارياً "س هي ب" و هو يعني "س هي ر"، في حين أن "ب" بوضوح لا تعني "ر"؛ و علاوة على ذلك: كيف يكون ممكناً بالنسبة للسامع الذي يسمع التلفظ "س هي ب" أن يعرف أن المتكلم يعني "س هي ر"؟ إن الجواب الموجز و غير الكاشف يتمثل في أن التلفظ بـ "ب" يستدعي للذهن المعنى ، و من ثم شروط الصدق المرتبطة بـ "ر"، من خلال الطرائق الخاصة التي تستدعي بها التلفظات الاستعارية أشياء أخرى للذهن. إلا أن ذلك الجواب يظل غير كاشف uninformative حتى نعرف ما هي المبادئ التي وفقاً لها يستدعي التلفظ للذهن المعنى الاستعاري ، و حتى نستطيع أن ننص على هذه المبادئ بطريقة لا تعتمد على تعبيرات استعارية مثل "يستدعي إلى الذهن" "calls to mind". و أعتقد أنه ليس ثمة مبدأ وحيد وفقاً له تعمل الاستعارة.

إن السؤال "كيف تعمل الاستعارات؟" يشبه إلى حد ما السؤال، "كيف يذكّرنا شيء ما بشيء آخر؟" إلا أنه ما من جواب مفرد لأيّ من السؤالين، على الرغم من أن التشابه يلعب بوضوح دوراً أساسياً في الجواب عن كلا السؤالين. إن الاختلافين المهمين بينهما هما أن الاستعارات مقيدة restricted و نسقية systematic معاً؛ مقيدة بمعنى أنه لا يمكن لكل طريقة يذكّرنا فيها شيء بشيء آخر أن توفّر أساساً للاستعارة، و نسقية بمعنى أنه لا بد للاستعارات من أن تكون قابلة للتوصيل من المتكلم إلي السامع بفضل نسق مشترك من المبادئ.

لكن دعونا نقارب المشكل من وجهة نظر السامع. و ذلك أننا إذا ما استطعنا أن نكتشف المبادئ التي وفقاً لها يفهم المستمعون التلفظات الاستعارية، فإننا نكون قد قطعنا شوطاً طويلاً نحو فهم كيف يمكن للمتكلمين أن يصنعوا تلفظات استعارية، لأنه لكيما يكون التواصل ممكناً لأبد من أن يشترك المتكلم والمستمع في مجموعة من المبادئ المشتركة. و لنفترض أن مستمعاً ما يسمع تلفظاً من قبيل "سالي لوح ثلج"، أو "ريتشارد غوريلا"، أو "بيل باب حظيرة" "Bill is a barn door" ، فما هي الخطوات التي لأبد له من أن يجتازها لكي يستوعب المعنى الاستعاري لمثل هذه التلفظات؟ إن الجواب على هذا السؤال بوضوح لا يحتاج أن نحدّد مجموعة من الخطوات التي يجتازها بوعي؛ وإنما بدلاً من ذلك لأبد من توفير إعادة بناء عقلية لأنماط الاستدلال التي تباطن قدرتنا على فهم مثل هذه الاستعارات. و علاوة على ذلك، فليست كل الاستعارات بسيطة بساطة الحالات التي نناقشها؛ لكن مع ذلك فإنه يُفترض في نموذج مُصمّم لتفسير الحالات البسيطة أن يُنْبِت أنه قابل للتطبيق على نطاقٍ أعم.

و أعتقد أن ذلك ينطبق على الأنواع البسيطة من الحالات التي نناقشها، إذ لأبد للمستمع من أن يجتاز على الأقل ثلاث مراحل من الخطوات. أولاً، لأبد من أن تكون لديه في المقام الأول استراتيجية ما لتحديد إذا ما كان ينبغي له أن ينشد تأويلاً استعارياً للتلفظ أم لا. ثانياً، لأبد له حين يقرّر أن يبحث عن تأويل استعاري من أن يكون لديه مجموعة ما من الاستراتيجيات أو المبادئ من أجل حوسبة computing القيم الممكنة لـ"ر". و ثالثاً، لأبد من أن تكون لديه مجموعة من الاستراتيجيات، أو المبادئ، من أجل تقييد مدى القيم الممكنة لـ"ر" - لتقرير أي قيم "ر" هي القيم التي يُحتمل أن المتكلم يؤكّدها لـ"س".

لنفترض أنه يسمع التلفظ "سام خنزير" "Sam is a pig" ، فإنه يعرف أن ذلك لا يمكن أن يكون صادقاً حرفياً، و أنه إذا ما حاول أن يأخذه حرفياً سيجده مختلاً بشكل جذري radically defective . و بالفعل، فإن ذلك الاختلال يُعد تقريباً سمة لكل الأمثلة التي تناولناها حتى الآن. فالعيوب التي تنبّه المستمع يمكن أن تكون زيفاً صريحاً obvious falsehood، أو هراءً دلاليّاً semantic nonsense، أو انتهاكاتٍ لقواعد أفعال الكلام violations of the rules of speech acts، أو انتهاكاتٍ لمبادئ التواصل التخاطبية violations of conversational principles of communication. و هذا يقترح الاستراتيجية التي تباطن الخطوة الأولى: حيثما يكون التلفظ مختلاً إذا ما أُخذ حرفياً، لبحث عن معنى للتلفظ يختلف عن معنى الجملة.

إن هذه ليست الاستراتيجية الوحيدة التي بناءً عليها يستطيع المستمع أن يقول إنه من المحتمل أن يكون للتلفظ معنى استعاري، إلا أنها الأكثر شيوعاً إلى حد بعيد. (و هي أيضاً شائعة بالنسبة لتأويل الشعر. إذ لو أنني أسمع مجازاً حول جرّة إغريقية تُخاطب بوصفها "عروس السكينة يا من تظّلين عذراء " "a still unravish'd bride of quietness"، فإنني سأعرف أنه ينبغي لي أن أبحث عن معاني بديلة.) إلا أنه بالتأكيد ليس شرطاً ضرورياً للتلفظ الاستعاري أن يكون مختلاً على أي نحو إذا ما فُسر حرفياً. لقد قال ديزرائيلي استعارياً

(٥) (اس) إنني أتسلق إلى قمة العمود اللزج،

مع أنه في الحقيقة قد تسلق إلى قمة عمود لزج. إن ثمة مفاتيح أخرى عديدة نوظفها لنميّز التلفظات الاستعارية. على سبيل المثال، فإننا حين نقرأ الشعراء الرومانسيين، نكون على مرأى من الاستعارات، كما أن بعض من نعرف من أشخاص يكونون ببساطة أكثر حساسية من سواهم تجاه التلفظات الاستعارية.

إذ ما إن يرسخ لدى المستمع أن عليه أن يبحث عن معنى بديل، حتى يجد أن لديه عدداً من المبادئ التي يستطيع بواسطتها أن يحوسب القيم الممكنة لـ"ر". و سوف أقدم لاحقاً قائمة موجزة بهذه المبادئ، إلا أن أحد هذه المبادئ هو هذا المبدأ: لكي تعرف قيم "ر" الممكنة حين تسمع أن "س هي ب" ابحث عن الكيفيات التي يمكن بها لـ"س" أن تكون مثل "ب"، و لكي تملأ الجانب الذي يمكن فيه لـ"س" أن تكون مثل "ب" ابحث عن السمات الفارقة الشهيرة لخواص "ب".

و في هذه الحالة، فإن المستمع قد يستدعي معرفته الواقعية لكي يتوصل إلى سمات من قبيل أن الخزائير سميّة، و شرهة، و قذرة، و نتنة، و ما إليها من سمات أخرى. إن هذا المدى اللا محدود من السمات يوفّر القيم الممكنة لـ"ر". و مع ذلك، فإن ثمة سمات أخرى عديدة و شهيرة مميّزة بنفس القدر للخزائير؛ على سبيل المثال، إن للخزائير شكلاً مُميّزاً و فروة مُميّزة. و هكذا، فلكي يفهم المستمع التلفظ؛ فإنه يحتاج أن يمر عبر الخطوة الثالثة التي يقيد فيها مدى القيم الممكنة لـ"ر". و هنا مرة أخرى يمكن للمستمع أن يوظّف استراتيجيات متنوعة للقيام بذلك إلا أن الاستراتيجية الأكثر شيوعاً في الاستخدام هي هذه: ارجع إلى لفظ "س" و انظر أياً من المرشحات العديدة لقيم "ر" تمثّل الخصائص المحتملة أو حتى الممكنة لـ"س".

و هكذا، فإن قيل للمستمع : إن "سيارة سام خنزير"، فإنه سيؤول تلك الاستعارة بشكل مختلف عن التلفظ "سام خنزير". ذلك أنه في الاستعارة الأولى قد يأخذها على أنها تعني أن سيارة سام تستهلك الوقود بالطريقة التي تستهلك بها الخنازير الطعام، أو أن شكل سيارة سام شكل الخنزير. هذا مع أن الاستعارة، في أحد معانيها، خاصة بـ (سام) في الحالتين؛ إذ أنها مقيّدة في كل حالة منهما بلفظ سام بطريقة مختلفة. و على المستمع أن يستخدم معرفته بالأشياء الخاصة بـ"س" , الأشياء الخاصة بـ"ب" ليعرف أي قيم "ر" الممكنة هي المرشحات المعقولة للحمل الاستعاري metaphoric predication .

و حالياً، فإن الكثير من النزاع الدائر بين نظريات التفاعل و نظريات مقارنة الموضوع the object comparison theories ينبع من حقيقة أنهما يمكن أن يتم تفسيرهما بوصفهما إجابات عن أسئلة مختلفة. إذ يتم تفسير نظريات مقارنة الموضوع على أفضل وجه بوصفها محاولات للإجابة عن سؤال المرحلة الثانية: "كيف نحوسب القيم الممكنة لـ (ر)؟" بينما يتم تفسير نظريات التفاعل على أفضل وجه بوصفها إجابات عن سؤال المرحلة الثالثة: "كيف تُقيّد العلاقة بين لفظ "س" ولفظ "ب"، في ظل مدى القيم الممكنة لـ"ر"، ذلك المدى؟" و أعتقد أنه من المضلل أن توصف هذه العلاقات بوصفها "تفاعلات"، لكنني أظن أن افتراض أن لفظ "س" يجب أن يلعب دوراً في استعارات من نوع الاستعارات التي نتناولها يبدو صحيحاً. و لإظهار أن نظرية التفاعل كانت أيضاً جواباً على سؤال المرحلة الثانية، سيتوجب علينا أن نُظهر أن ثمة قيماً لـ"ر" قابلة للتعين specifiable ، آخذين "س" و "ب" معاً، و لأنها ليست قابلة للتعين إذا ما أخذت "ب" وحدها، فإنه سيتوجب على المرء أن يوضح أن "س" لا تُقيّد مدى قيم "ر" و إنما، في حقيقة الأمر، تبذل قيماً جديدة لـ"ر". إلا أنني لا أعتقد أنه يمكن إيضاح ذلك، و إن كنتُ سأذكر بعض الإمكانات لاحقاً.

لقد ذكرتُ أن ثمة تشكيلة من المبادئ لحوسبة "ر"، في ظل "ب" - أي تشكيلة من المبادئ التي وفقاً لها يمكن للتلفظ "ب" أن يستدعي للذهن معنى "ر" بطرائق خاصة بالاستعارة. و مع أنني واثق من أنني لا أعرف جميع المبادئ التي تفعل هذا، إلا أن هاهنا عدداً منها يصلح للبداية (و إن لم تكن بالضرورة مستقلة فيما بينها).

الموضوعات التي هي " ب " هي بمعنى الكلمة " ر " . و عادة، إذا ما كانت الاستعارة تعمل، فإن " ر " ستكون إحدى الخصائص المحددة البارزة لـ " ب " . و هكذا، على سبيل المثال، فإن

(٣٨) (اس) سام عملاق

(٣٨) (MET) Sam is a giant

سيتم فهمها على أنها تعني

(٣٨) (شا) سام ضخيم،

(٣٨) (PAR) Sam is big,

لأن العملاقة ضخام بمعنى الكلمة. و ذلك هو المميز لهم.

مبدأ ٢

الموضوعات التي هي " ب " هي عرضاً " ر " . و مرةً أخرى، إذا ما كانت الاستعارة تعمل؛ فإن خاصية " ر " ينبغي أن تكون خاصية بارزة أو مشهورة لموضوعات " ب " .

(٣٩) (اس) سام خنزير

ستفهم على أنها تعني

(٣٩) (شا) سام دنيء و شره و قدر، و ما إلى ذلك.

إن كلا المبدأين ١ و ٢ يربطان التلفظات الاستعارية بتشبيهات حرفية، "سام مثل عملاق"، و "سام مثل خنزير" و ما إلى ذلك. و لنلاحظ فيما يتعلق بالمبدأ الأول والثاني أن تنويعات قليلة في لفظ " ب " يمكنها أن تخلق اختلافات كبيرة في ألفاظ " ر " . و لنأخذ الاختلافات بين "سام خنزير"،

و "سام خنزوان" "Sam is a hog" و "سام خنُوص" "Sam is a swine."

مبدأ ٣

الموضوعات التي هي " ب " غالباً ما يقال أو يُعتقد إنها " ر "، على الرغم من أن المتكلم و المستمع يمكنهما أن يعرفا أن " ر " زائفة false بالنسبة لـ " ب " . و بالتالي، يمكن لـ

(٦) (اس) ريتشارد غوريلا

أن تكون مُتَلَفِّظَةً لتعني

(٦) (شا) ريتشارد وضيع، و مقرف، و ميال للعنف ، وما إلى ذلك،

(٦٠) (PAR) Richard is mean, nasty, prone to violence, and so on,

على الرغم من أن كلاً من المتكلم و المستمع يعرف أن الغوريلا ت في الحقيقة كائنات خجولة وجبانة وحساسة، إلا أن أجيال أسطورة الغوريلا ظلت تنشئ ترابطات associations تُمَكِّن الاستعارة من أن تعمل على الرغم من أن المتكلم و المستمع يعرفان كلاهما أن هذه المعتقدات زائفة.

مبدأ ٤

الموضوعات التي هي " ب " ليست " ر " ، ولا هي مثل موضوعات " ر " و لا يعتقد أنها " ر " ، و مع ذلك فهي حقيقة خاصة بحساسيتنا أننا ندرك صلة ما، سواء كانت محدّدة ثقافياً أو طبيعياً، بحيث يكون تلفظ " ب " مرتبطاً في أذهاننا بخصائص " ر " .
و لذا؛ فإن

(٤) (اس) سالي لوح ثلج

(٤٠) (اس) إنني في مزاج أسود

(٤٠) (MET) I am in a black mood

(٤١) (اس) ماري حلوة

(٤١) (MET) Mary is sweet

(٤٢) (اس) جون ممرور

(٤٢) (MET) John is bitter

(٤٣) (اس) الساعات كانت {تزحف} و نحن ننتظر الطائرة

" " " " {تحبو} " "

" " " " {تتجرجر} " "

" " " " {تتسارع} " "

" " " " {تتطاير} " "

(٤٣) (MET) The hours {crept}by as we waited for the plane

{crawled}
 {dragged}
 { sped }
 {whizzed}

هي جمل يمكن تلفظها لتعني استعارياً أن: سالي غير عاطفية؛ و أنني غاضب و مكتئب؛ و أن ماري دمثة و طيبة و لطيفة و ما إلي ذلك؛ و أن جون ممتعض؛ و أن الساعات قد بدت (ذات درجات مختلفة من المدى) و نحن ننتظر الطائرة؛ و مع ذلك فإنه لا توجد تشابهات حرفية تقوم عليها هذه الاستعارات. و نلاحظ أن الترابطات تميل إلى أن تكون متدرجة scalar : درجات من الحرارة مع مجالات من الانفعال، و درجات من السرعة مع المدى الزمني، و هكذا.

مبدأ ٥

موضوعات " ب " ليست مثل موضوعات " ر "، و لا يُعتقد أنها مثل موضوعات " ر "، و مع ذلك فإن ظرف وجود " ب " مثل ظرف وجود " ر ". و هكذا، يمكنني أن أقول لشخص نال للتو ترقية كبيرة
 (٤٤) لقد أصبحت أرستقراطياً،

(٤٤) You have become an aristocrat,

و أنا أعني لا أنه قد أصبح شخصياً مثل شخص أرستقراطي، و إنما أن وضعه أو ظرفه الجديد مثل وضع كونه أرستقراطياً.

مبدأ ٦

ثمة حالات تكون فيها " ب " و " ر " متطابقين أو متشابهين في المعنى، لكن حيث يكون أحدهما، عادة " ب "، مقيداً في انطباقه و لا ينطبق حرفياً على " س ". و هكذا، فإن (مُمَشَّش) (addled) تقال حرفياً فقط على البيض، لكننا يمكننا أن نقول استعارياً
 (٤٥) هذا السوفليه مُمَشَّش

(٤٥) This soufflé is addled

و

(٤٦) ذلك البرلمان كان مُمَشَّشاً

(٤٦) That parliament was addled

و

(٤٧) مخه مُمَشَّش.

(٤٧) His brain is addled.

مبدأ ٧

إن هذا المبدأ ليس مبدأً مستقلاً بذاته و إنما هو شكل لتطبيق المبادئ من (١) إلى (٦) على حالات بسيطة ليست من نوع "س هي ب" وإنما على استعارات علائقية relational metaphors ، و استعارات ذات أشكال تركيبية أخرى مثل تلك التي تتضمن أفعالاً وصفاتٍ خبرية. و لتأمل استعارات علائقية من قبيل:

(٤٨) سام يفترس الكتب

(٤٨) Sam devours books

(٨) السفينة تحرث البحر

(٨) The ship plough the sea

(٣١) واشنطن كان أباً بلده

(٣١) Washington was the father of his country.

إن لدينا في كل حالة من هذه الحالات تلفظاً حرفياً لعبارتين اسميتين محاطتين بتلفظ استعاري للفظ علائقي (يمكن أن يكون فعلاً متعدياً، كما في (٤٨) و (٨) دونما حاجة إلى أن يكون الفعل هو فعل الكينونة كما هو في (٣١) . و مهمة المستمع ليست هي أن يمضي من "س هي ب" إلى "س هي ر" و إنما أن يمضي من "علاقة خصائص س ب" إلى "بس ب" إلى

"علاقة خصائص س ب س ر" و المهمة الأخيرة مختلفة تماماً من حيث الشكل عن المهمة الأولى لأن، على سبيل المثال، مبادئنا الخاصة بالتشابه ستتمكّن في الحالة الأولى من أن يعثر على خاصية مشتركة تلتقي فيها موضوعات س وب ، أعني ر. لكنه لا يستطيع في الحالة الثانية أن يعثر على علاقة مشتركة، و إنما يكون عليه بدلاً من ذلك أن يعثر على علاقة ر المختلفة عن علاقة ب لكن المتشابهة معها في جانب ما. و هكذا، على سبيل المثال، فإن المبدأ (١) كما يُطبّق على هذه الحالات سيقراً علاقات ب على أنها بمعنى الكلمة علاقات ر.

على سبيل المثال، إن الحرث *ploughing* بحكم التعريف هو في جانب منه عبارة عن تحريك مادة بين جهتي جسم حاد أثناء تحرك هذا الجسم إلى الأمام؛ و على الرغم من أن هذا التشابه التعريفي بين العلاقة ب و العلاقة ر سيوفر المبدأ الذي يمكّن المستمع من أن يستدل على العلاقة ر، إلا أن وجه الشبه لا يستنفد السياق الخاص بالعلاقة ر كما يستنفد التشابه محتوى الحد [اللفظ] ر في أبسط الحالات الخاصة ب "س هي ب". إذ أن وظيفة المستمع في هذه الحالات هي أن يعثر على علاقة (أو خاصية) تكون مشابهة لـ ، أو خلاف ذلك مرتبطة بـ ، العلاقة أو الخاصية المعبر عنها حرفياً بالتعبير الاستعاري بـ ، و تشتغل المبادئ لتمكنه من أن يختار تلك العلاقة أو الخاصية بإعطائه جانباً يمكن أن تكون فيه العلاقة ب والعلاقة ر متشابهتين أو عدا ذلك مترابطتين.

مبدأ ٨

طبقاً لطرحي عن الاستعارة، تصبح مسألة إذا ما كنا نريد أن نفسر الكناية *metonymy* و المجاز المرسل *synecdoche* بوصفهما حالتين خاصتين من الاستعارة أو بوصفهما مجازين مستقلين مسألة مصطلحية *terminology*. إذ حين يقول المرء، "س هي ب"، و هو يعني أن

"س هي ر"، فإن ب و ر يمكن أن يكونا مترابطين بواسطة علاقات من قبيل علاقة الجزء - الكل، أو علاقة الحاوي - المحتوى، أو حتى علاقة الملبس - اللابس. و في كل حالة من هذه الحالات، كما هو في حالة الاستعارة الصريحة، يوصل المحتوى الدلالي للفظ بالمحتوى الدلالي للفظ ر بواسطة مبدأ ما من مبادئ الترابط [التداعي] *association*. و بما أن مبادئ الاستعارة متنوعة جداً، في جميع الأحوال؛ فإنني أميل إلى معالجة الكناية و المجاز المرسل بوصفهما حالات خاصة من الاستعارة، كما أميل إلى إضافة مبادئهما إلى قائمتي الخاصة بالمبادئ الاستعارية. إذ أنني أستطيع، على سبيل المثال، أن أحيل على الملكة البريطانية بـ "التاج"،

و على القطاع التنفيذي لحكومة الولايات المتحدة بـ "البيت الأبيض" بواسطة استغلال المبادئ النسقية للترابط [التداعي]. و مع ذلك، كما سبق وقلت، فإن القول بأن هذه حالات خاصة من الاستعارة يبدو لي أنه مجرد مسألة مصطلحية خالصة، و إذا كان أنصار

التمييز يصرون على أن مبادئ الاستعارة تظل منفصلة عن تلك المبادئ الخاصة بالكناية و المجاز المرسل، فإنه يمكنني القول إنه ليس لدي أية اعتراضات تصنيفية. و إضافة إلى هذه المبادئ الثمانية، يمكن للمرء أن يتساءل إذا ما كان هناك مبدأ تاسع. أي، هل هناك حالات يوجد فيها ترابط لم يكن موجوداً من قبل بين ب و ر لكن تجاوز س و ب في الجملة الأصلية يمكنه أن يخلقه؟ إن هذه الفرضية، كما أفهمها، هي فرضية منطري التفاعل. و مع ذلك، فإنني لم أر قط أية أمثلة مقنعة، و لا حتى أي تفسير شبه واضح لما يفترض أن يعنيه "التفاعل". و دعونا نحاول أن نبني بعض الأمثلة، و لنأمل الاختلافات القائمة بين

(٤٩) صوت سام {طين}*

{حصباء} " "

{سنفرة} " "

(٤٩) Sam's voice is {mud}
{gravel}
{sandpaper}

و

(٥٠) حجة كانط الثانية عن الاستنباط المتعالي هي {طين} كثير جداً
" {حصباء} كثيرة جداً " " " " " "
" {سنفرة} " " " " " "

(٥٠) Kant's second argument for the transcendental deduction is so
much {mud}
{gravel}
{sandpaper}

إن الثلاثي الثاني يعطينا بوضوح معاني استعارية مختلفة - قيماً مختلفة لـ ر - عن الثلاثي الأول، و قد يجادل المرء بأن هذا لا يعود إلى أن ألفاظ س المختلفة تقيد مدى القيم الممكنة لـ ر المتولدة بواسطة ألفاظ ب، و إنما يعود إلى أن الترابطات المختلفة لـ س و ب تخلق قيماً جديدة لـ ر. إلا أن ذلك التفسير يبدو غير معقول. أما التفسير الأكثر معقولة فهو هذا، و هو أن لدى المرء مجموعة من الترابطات الخاصة بألفاظ ب، "طين"، و "حصباء"،

و "سفرة". و مبادئ هذه الترابطات هي تلك المبادئ من ١ إلى ٧ . إن ألفاظ س المختلفة تقيد قيم ر بشكل مختلف، لأن قيم ر المختلفة يمكنها أن تكون صادقة على الأصوات أكثر مما هي صادقة على الحجج الخاصة بالاستتباطات المتعالية، فأين إذاً التفاعل؟ و لأن هذا القسم يتضمن طرحي عن الحمل الاستعاري metaphorical predication ، فإن إيجاز نقاطه الأساسية يمكن أن يكون مفيداً. في ظل أن لدى المتكلم و المستمع معرفة لغوية و واقعية مشتركة تكفي لتمكينهما من أن يتبادلا تلفظات حرفية، فإن المبادئ التالية ضرورية فردياً وكافية جمعياً لتمكين المتكلم والمستمع من أن يصوغا و يفهما تلفظات من الشكل "س هي ب"، حيث يعني المتكلم استعارياً أن س هي ر (بينما ب # ر).

أولاً، يجب أن تكون هناك بعض الاستراتيجيات المشتركة التي بناءً عليها يستطيع المتكلم والمستمع أن يدركا أن التلفظ غير مقصود حرفياً. و الاستراتيجية الأكثر شيوعاً، و إن لم تكن الوحيدة، قائمة على حقيقة أن التلفظ يكون مختلاً بشكل واضح إذا ما أخذ حرفياً.

ثانياً، يجب أن تكون هناك بعض المبادئ المشتركة التي تربط لفظ ب (سواء المعنى أو شروط الصدق أو الدلالة المرجعية denotation إذا ما كانت هناك أية دلالة مرجعية) بمجموعة القيم الممكنة لـ ر. و قد حاولت أن أرصد عدداً منها إلا أنني واثق من أنه لا بد من وجود مبادئ أخرى.

ثالثاً، يجب أن تكون هناك بعض الاستراتيجيات المشتركة التي تمكّن المتكلم و المستمع، في ظل معرفتهما بلفظ س (سواء معنى التعبير، أو طبيعة المرجع، أو الاثنين)، من أن يقلّصا مدى القيم الممكنة لـ ر إلى القيمة الفعلية the actual value لـ ر. و المبدأ الأساسي لهذه الخطوة يتمثل في أن فقط تلك القيم الممكنة لـ ر التي تحدد الخواص الممكنة لـ س هي التي يمكنها أن تكون قيماً فعلية لـ ر.

الاستعارة و المفارقة وأفعال الكلام غير المباشرة

إنني أرغب، لكي أختتم، أن أقارن بإيجاز المبادئ التي تعمل على أساسها الاستعارة بتلك التي تعمل على أساسها المفارقة irony و أفعال الكلام غير المباشرة. و دعونا أولاً نتناول حالة من حالات المفارقة، افترض أنك قد كسرت للتو زهرية لا تقدر بثمن لـ "كنج هسي"

و أنني أعلق بمفارقة ساخرة قائلاً، " لقد كان شيئاً ألعياً منك أن تفعل ذلك. " "That was a brilliant thing to do." إن معنى المتكلم و معنى الجملة هنا، كما هو في الاستعارة، مختلفان. و من ثمّ، فما هي المبادئ التي يكون المستمع قادراً بواسطتها أن يستدل على أن المتكلم قد عنى "لقد كان شيئاً غيباً أن تفعل ذلك"، في حين أن ما سمعه كان هو الجملة القائلة "لقد كان شيئاً ألعياً أن تفعل ذلك"؟ إن الآلية التي تعمل المفارقة على أساسها تتمثل، إذا ما صيغت وفق صورتها الأولية جداً، في أن التلفظ يصبح بوضوح غير ملائم للموقف إذا ما أخذ حرفياً. و لكونه غير ملائم بشكل فادح، فإن المستمع يصبح مُجبِراً على أن يعيد تأويله بشكل يجعله ملائماً، و الطريقة الأكثر طبيعية لتأويله هي تأويله بوصفه يعني عكس صيغته الحرفية.

و مع ذلك، فإنني لا أفترض على الإطلاق أن هذا يمثل القصة الكاملة للمفارقة. ذلك أن الثقافات و الثقافات الفرعية تتفاوت تفاوتاً مهولاً في مدى ودرجة ما توفره للتلفظات المفارقة من قرائن لغوية و فوق لغوية. ففي الانجليزية، توجد، في الواقع، تضاريس تنغيمية مميزة و محدّدة تصاحب التلفظات المفارقة. و مع ذلك، فمن المهم أن نرى أن المفارقة، مثل الاستعارة، لا تتطلب أية أعراف، سواء فوق لغوية أو سواها. إذ أن مبادئ التخاطب و القواعد العامة لأداء الكلام كافية لتوفير المبادئ الأساسية للمفارقة.

و الآن، فلنتناول حالة من حالات فعل الكلام غير المباشر. افترض أنني أقول لك في موقف مائدة العشاء المعتاد "هل يمكنك أن تناولني الملح؟" إنك في هذا الموقف ستأخذ ذلك التلفظ بشكل اعتيادي على أنه يعني "من فضلك ناولني الملح." أي أنك ستأخذ التساؤل حول قدرتك بوصفه طلباً لأداء فعل. فما هي إذاً المبادئ التي على أساسها يعمل هذا الاستدلال؟ إن ثمة اختلافاً جذرياً بين أفعال الكلام غير المباشرة، من جهة أولى، و المفارقة والاستعارة، من جهة ثانية. ذلك أن المتكلم، في أفعال الكلام غير المباشرة، يعني ما يقوله. إلا أنه، إضافة إلى ذلك، يعني شيئاً إضافياً. ذلك أن معنى الجملة هو جزء من معنى التلفظ، إلا أنه لا يستنفد معنى التلفظ. و بصيغة مبسّطة جداً (لمزيد من التفاصيل، انظر Searle, ١٩٧٥) فإن المبادئ التي يعمل على أساسها الاستدلال في هذه الحالة هي: أولاً أنه لا بد من أن يكون لدى المستمع وسيلة ما لإدراك أن التلفظ قد يكون فعل كلام غير مباشر.

و هذا المطلب مستوفى بحقيقة أنه في هذا السياق يفتقر السؤال حول قدرة المستمع إلى أي مغزى تخاطبي. و لذلك، يكون المستمع مدفوعاً للبحث عن معنى بديل. ثانياً، بما أن

المستمع يعرف القواعد الخاصة بأفعال الكلام، فإنه يعرف أن القدرة على مناقشة الملح تمثّل شرطاً تمهيدياً لفعل الكلام الخاص بمطالبته بفعل ذلك. و لذلك، فإنه يكون قادراً على أن يستدل على أن السؤال حول قدرته هو على الأرجح طلب مهذب لأداء الفعل. و أمّا الاختلافات و التشابهات بين التلفّظات الحرفية، و التلفّظات الاستعارية، و التلفّظات المفارقة، و أفعال الكلام غير المباشرة، فهي ممثلة في الشكل رقم (١).

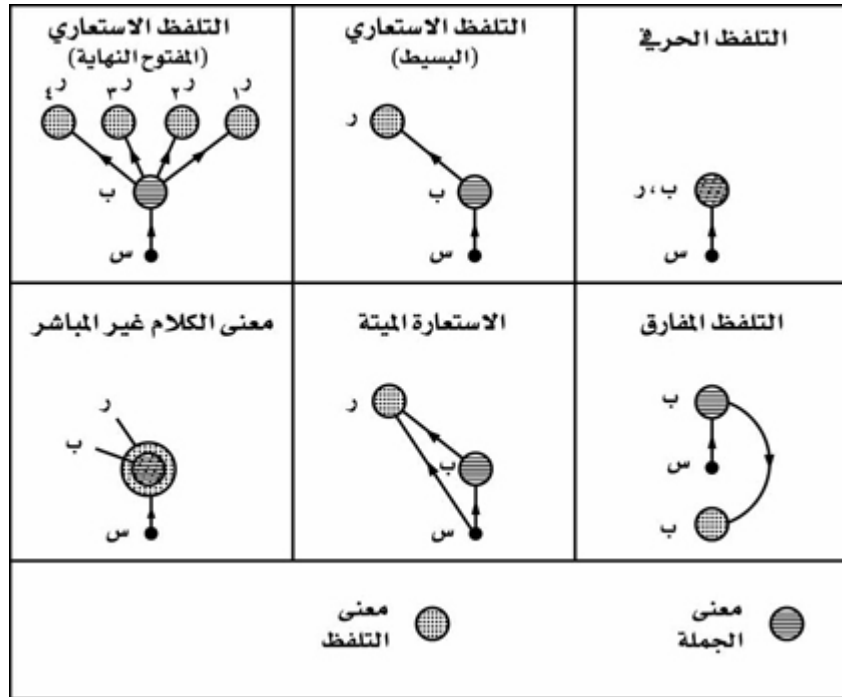
إن السؤال حول إذا ما كان يمكن لكل التلفّظات الاستعارية أن تُمنح عبارات حرفية شارحة هو سؤال لا بد من أن يحظى بجواب تافه. ذلك أن تأويل السؤال بصورة ما يجعل الجواب نعم بشكل تافه، كما أن تأويله بصورة أخرى يجعل الجواب لا بشكل تافه أيضاً. فإذا كنا نؤوّل السؤال بوصفه "هل من الممكن العثور على أو ابتكار تعبير سيعبّر بالضبط عن المعنى الاستعاري المقصود لـ ر، بمعنى شروط الصدق الخاصة بـ ر، بالنسبة لأي تلفظ استعاري من طراز "س هي ب"، الذي يكون المعني فيه هو س هي ر؟" فلا بد بالتأكيد من أن يكون الجواب على هذا السؤال هو نعم. و هو جواب ينبع بشكل تافه من مبدأ قابلية التعبير the Principle of Expressibility (انظر ١٩٦٩، Searle) الذي يرى أن أي معنى من أي نوع يمكن أن يُمنح تعبيراً دقيقاً داخل اللغة.

أمّا إذا ما تم تأويل السؤال بوصفه يعني "هل توفّر لنا كل لغة من اللغات القائمة وسائل دقيقة للتعبير حرفياً عن أي شيء نرغب في التعبير عنه في أي استعارة معطاة؟"، فإن الجواب حينئذٍ هو بوضوح لا. إذ أن واقع الحال هو أننا نستخدم الاستعارة تحديداً لأنه لا يوجد تعبير حرفي يعبّر بالضبط عما نعبّره. و علاوة على ذلك، فإننا، في التلفّظات الاستعارية، نفعل ما هو أكثر من مجرد تقرير أن س هي ر؛ إذ أننا، كما يوضح الشكل (١)، نقرّر أن س هي ر من خلال المرور عبر معنى "س هي ب". و انطلاقاً من هذا المعنى نشعر أن الاستعارات بشكل أو بآخر غير قابلة بحكم طبيعتها لمساواتها بعباراتها الشارحة. و هي غير قابلة لمساواتها بعباراتها الشارحة لأننا بدون استخدام التعبير الاستعاري لن نعيد إنتاج المحتوى الدلالي الذي حدث في فهم المستمع للتلفظ.

و لعل أفضل ما يمكننا أن نفعله بالعبارة الشارحة هو أن نعيد إنتاج شروط صدق التلفظ الاستعاري، إلا أن التلفظ الاستعاري يفعل ما هو أكثر من مجرد أن يوصّل شروط صدقه. إذ أنه يوصّل شروط صدقه بواسطة محتوى دلالي آخر لا تمثّل شروط صدقه جزءاً من شروط صدق التلفظ. والقوة التعبيرية التي نشعر أنها مكوّن من مكوّنات الاستعارات الجيدة هي إلى حد كبير مسألة خاصة بسمتين، إذ يجب على المستمع أن يكتشف ما يعنيه

المتكلم - يجب عليه أن يساهم في التواصل بما هو أكثر من مجرد التلقي السلبي - و يجب عليه أن يفعل ذلك من خلال المرور عبر محتوى دلالي مختلف عن و مرتبط بالمحتوى الدلالي الذي يتم توصيله إليه. و ذلك،

فيما أتصور، هو ما عناه د. جونسون حين قال إن الاستعارة تعطينا فكرتين لفكرة واحدة.



الشكل رقم (١)

إن هذا الشكل هو عبارة عن مقارنة للأشكال التوضيحية للعلاقات بين معنى الجملة و معنى التلفظ حيث يكون معنى الجملة هو س هي ب، و معنى التلفظ هو س هي ر، أي حيث يتلفظ المتكلم جملة تعني حرفياً أن الموضوع س يقع تحت المفهوم ب، إلا أن المتكلم يعني بتلفظه أن الموضوع س يقع تحت المفهوم ر.

(أ) *التلفظ الحرفي*: وفيه يقول المتكلم س هي ب و يعني أن س هي ب.

و هكذا فإن المتكلم يضع الموضوع س تحت المفهوم ب، حيث ب = ر. أي أن معنى الجملة و معنى التلفظ يتطابقان.

(ب) *التلفظ الاستعاري (البسيط)*: وفيه يقول المتكلم س هي ب لكنه يعني استعارياً أن س هي ر. و يتم الوصول إلى معنى التلفظ من خلال المرور عبر معنى الجملة الحرفي.

(ج) *التلفظ الاستعاري (المفتوح النهاية)*: و فيه يقول المتكلم س هي ب، لكنه يعني استعارياً مدى غير محدد من المعاني، حيث تكون س هي ر ١ ، و س هي ر ٢ ، ... الخ. و كما هو في الحالات البسيطة، يتم الوصول إلى معنى التلفظ من خلال المرور عبر المعنى الحرفي.

(د) *التلفظ المفارق*: و فيه يعني المتكلم عكس ما يقوله. و يتم الوصول إلى معنى التلفظ من خلال المرور عبر معنى الجملة ثم الارتداد المزدوج إلى عكس معنى الجملة.

(هـ) *الاستعارة الميتة*: و فيها يتم إغفال معنى الجملة الأصلي و تكتسب معنى حرفياً جديداً مطابقاً لمعنى التلفظ الاستعاري الأول. و يمثل هذا تحولاً من التلفظ الاستعاري (البسيط)، كما هو مذكور في (ب)، إلى التلفظ الحرفي ، كما هو مذكور في (أ).

(و) *فعل الكلام غير المباشر*: و فيه يعني المتكلم ما يقوله، لكنه يعني أيضاً شيئاً إضافياً آخر. و بالتالي فإن معنى التلفظ يتضمن معنى الجملة إلا أنه يتجاوزه إلى ما وراءه.

التعليقات والهوامش

إنني مدين بالشكر لكثيرين على ما قدّموه من تعليقات مهمة على النسخ الأولى من هذا المقال، و أود أن أشكر بصفة خاصة جيرى مورجان، و أندرو أרטوني، و بول روبير، و داجمار سيرل.

(١) يُعد تجنب أي خلط في ذكر الاستخدام عند الحديث عن هذه المجموعات أساسياً. و سيكون حديثنا أحياناً حول الكلمات، و أحياناً أخرى حول المعاني، و أحياناً ثالثة حول المراجع و الدلالات المرجعية، و أحياناً رابعة حول شروط الصدق.

(٢) إنني أتبع بيردسلي (١٩٦٢) في هذا التصنيف.

Beardsley, M. C. (١٩٦٢). *The metaphorical twist. Philosophy and Phenomenological Research*, ٢٢, ٢٩٣-٣٠٧.

(٣) حتى في إيضاح بلاك للتفاعل بناءً على "مركبات التضمن"

"implication-complexes" (ضمن هذا المجلد) لا يبدو أنه توجد هناك مع ذلك أي صياغة دقيقة للمبادئ التي يعمل التفاعل على أساسها. و المثال المتعين الذي يضربه هو "الزواج لعبة محصلتها صفر" "Marriage is a zero-sum game" ، يبدو بشكل بئس مثل استعارة من استعارات المقارنة: "الزواج مثل لعبة محصلتها صفر Marriage is like a zero-sum game لأنه علاقة خصومة an adversary relationship بين طرفين لا يمكن فيها لطرف أن يستفيد إلا على حساب الطرف الآخر." و لذا فمن الصعب أن ترى ما الذي يفترض أن يضيفه الحديث عن التفاعل إلى هذا التحليل.

(٤) إنني أعني بـ "التشبيه الحرفي" "literal simile" الصياغة الحرفية للتشابه. و من الأمور القابلة للجدل أن المرء ينبغي أن يقيّد "التشبيه" بمقارنات حرفية، إلا أن ذلك ليس هو الاستعمال الذي أتبعه هنا.

(٥) أكثر من ذلك، إنه من القابل للجدل على الأقل أن "لوح ثلج" تعمل بشكل كنائي في هذا المثال.

